الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة قاصدي مرباح – ورقلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

القضايا اللغوية في كتاب البيان و التبيين للجاحظ في ضوء اللسانيات الاجتماعية

مذكرة من متطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة و الأدب العربي

الميدان: اللغة و الأدب العربي

الشعبة: دراسات لغوية

التخصص:لسانيات عربية

إعداد الطالب: علي مقدود

إشراف الأستاذ: حكيم رحمون

لجنة المناقشة

أعضاء اللجنة	الرتبة	الصفة	الجامعة
حسين زعطوط	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة قاصدي مرباح – ورقلة
حكيم رحمون	أستاذ محاضر – أ–	مشرفا و مقررا	جامعة قاصدي مرباح – ورقلة
لحسن دحّو	أستاذ التعليم العالي	مناقشا	جامعة قاصدي مرباح – ورقلة

السنة الجامعية:(1443 - 1444) هـ - (2022-2023) م

القضايا اللغوية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ

في ضوء اللسانيات الاجتماعية

إعداد الطالب: علي مقدود

« يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُون خَبِيرٌ»

[المجادلة:11]

شكر و تقدير

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه أنْ منّ عليّ ووفقني لإنجاز هذا العمل، كما أتوجّه بالشكر لكل أفراد عائلتي الذين وقفوا بجانبي مساندين لي في مشواري البحثي، أخصّ بالذّكر **فاطمة الزهراء** و **زين الدين**، متمنيا لهما النجاح في مشوارهما الدراسي، إلى الأستاذ المشرف **حكيم رحمون** الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته وآرائه السّديدة متمنيا له مزيدا من التميّز والتألّق، وإلى أعضاء لجنة المناقشة الموقّرين.

علي مقدود

إهداء

أهـدي هـذا العمـل إلــى روح والـدتي التــي تعلّمـت منهـا العطـاء دون مقابـل كمــا تعلمــت منهــا طيبــة القلــب وحســن الظــن بــالآخرين؛ إلــى روح والــدي الطيبــة، إلــى أفـراد عـائلتي الكبيـرة والصـغيرة، إلــى كـل أسـاتذتي فـي جـامعتَي حمّــه لخضــر بــالوادي وقاصــدي مربــاح بورقلــة ، وأخــصّ بالــذّكر الأســتاذ المشـرف **حكـيم رحمـون**، إلــى كـل طالـب أبــى إلاّ أن يتسـلّح بـالعلم، وإلــى كـل من شجّعني في مشواري البحثي، لهم جميعا أهدي ثمرة هذا الجهد.

علي مقدود

ملخص المذكرة

لقد درس العلماء العرب القدامى بمن فيهم الجاحظ اللغة في إطارها الاجتماعي، حيث كانوا على دراية أنّ اللّغة لا يمكن أن تُدرس في معزل عن المجتمع، كونها ظاهرة اجتماعية تتفاعل مع المجتمع، واللّغة شأنها شأن الظّواهر الاجتماعية الأخرى، تتغيّر بتغيّر المجتمع، كما تفطّنوا إلى أنّ اللغة لا تكون على مستوى واحد في الاستعمال، ففيها الفصيح وفيها دون ذلك حسب طبيعة المتكلّم ومستواه الثّقافي وحسب ما يقتضيه المقام، ولكلّ مقام مقال، والمجتمع طبقات وفئات، ولكلّ فئة استعمال خاص للّغة، فهي إشارات إلى ثنائيّة اللّغة وازدواجية اللّغة، والطّبقات اللّغوية وكذا المواقف اللّغوية، كلّ ذلك يدخل في إطار اللّسانيات الاجتماعية بمفهومها الحديث.

و ما هذا الطّرح إلا إماطة لِثام عن قضايا لغوية تَطَرّق إليها الجاحظ في كتابه **البيان والتبيين**، التي تُعدّ من صميم مرتكزات علم اللّسان الاجتماعي بمفهومه الحديث، والذي نظّر له اللسانيون الغربيّون حديثا.

ولقد حاولنا في هذا البحث استخراج بعض هذه القضايا ومقارنتها بما جاءت به اللّسانيات الاجتماعية حتى نُعرّف المُتلقي بريادة علمائنا الأوائل في هذا المجال، وأنّهم كانوا سبّاقين لهذا العلم وإن كانت آراؤهم متناثرة لم تجمعها نظريّة محكمة أو مرتّبة .

الكلمات المفتاحية: اللّغة ، اللّهجة، المجتمع ، القضايا اللّغوية، اللّسانيات الاجتماعية.

Thesis summary

Ancient Arab scholars, including Al-Jahiz,
studied language within its social framework, as they were aware that language could not be studied in isolation from society, as it is a social phenomenon that interacts with society, and language, like other social phenomena, changes with the change of society. The language is not on a single level in use, for in it the eloquent and in it without that according to the nature of the speaker and his cultural level and according to what is required by the position, and each position has an essay, and society has classes and categories, and each group has a special use of the language, as they are references to bilingualism and bilingualism, and linguistic classes as well as attitudes Linguistics, all of this falls under the framework of social linguistics in its modern sense.

This proposition is nothing but the unveiling of linguistic issues that Al-Jahiz touched upon in his book Al-Bayan wa Al-Tabyeen, which is considered one of the foundations of the science of social linguistics in its modern sense, which Western linguists theorized recently.

In this research, we have tried to extract some of these issues and compare them with what came in sociolinguistics in order to inform the recipient of the leadership of our early scholars in this field, and that they were the forerunners of this science, even if their opinions were scattered and were not collected by a solid or arranged theory.

Keywords: language, dialect, society, linguistic issues, sociolinguistic.

Résumé de la thèse

Les anciens érudits arabes, y compris Al-Jahiz, ont étudié la langue dans son cadre social, car ils étaient conscients que la langue ne pouvait pas être étudiée isolément de la société, car c'est un phénomène social qui interagit avec la société, et la langue, comme d'autres phénomènes sociaux, change avec l'évolution de la société. La langue n'est pas à un seul niveau d'usage, elle a de l'éloquence et elle l'est moins selon la nature du locuteur et son niveau culturel et selon ce qu'exige le poste, et chaque poste a un essai, et la société a des classes et des catégories, et chaque catégorie a un usage particulier de la langue, car ce sont des références au bilinguisme et au bilinguisme, et des classes linguistiques ainsi que des attitudes Linguistique, tout cela rentre dans le cadre de la sociolinguistique en son sens moderne.

Cette proposition n'est rien d'autre que le dévoilement des problèmes linguistiques qu'Al-Jahiz a abordés dans son livre Al-Bayan wal-Tabyeen, qui sont considérés parmi les fondements de la linguistique sociale dans son sens moderne, que les linguistes occidentaux ont théorisés récemment.

Dans cette recherche, nous avons essayé d'extraire certains de ces enjeux et de les comparer avec ce qui est arrivé en sociolinguistique afin d'informer le destinataire du leadership de nos premiers chercheurs dans ce domaine, et qu'ils étaient les précurseurs de cette science, même si leurs opinions étaient dispersées et n'étaient pas recueillies par une théorie bien articulée ou ordonnée.

Mots clés : langue, dialecte, société, enjeux linguistiques, sociolinguistique.

مقدمة

دراسة اللّغة دون الإشارة إلى المجتمع وأخذه في الحسبان نظرة غير دقيقة، ولا يمكن فهمها أو دراستها وتحليلها وتعليمها وتعلّمها بمعزل عن سياقها الاجتماعي.

من هذا المنطلق بحثتُ في التّراث العربي عمّن كان له اهتمام وتنظير في الجانب الاجتماعي للّغة، فوجدت عديدَ العلماء أمثال ابن جنّي وعبد القاهر الجرجاني وابن خلدون قد تطرّقوا لهذا الجانب، إلاّ أنّ الجاحظ كان أسبقهم، فاستقرّ اهتمامي عليه انطلاقا من مؤلّفه "**البيان والتبيين**".

كما عزمتُ في هذه المحاولة البحثية طَرْق باب جديد في قراءة "**البيان والتبيين**" متّخذاً من اللّسانيات الاجتماعية ومفاهيمها وسيلة لتسليط الضّوء عليه، كي أتلمّس ما فيه من قضايا لغويّة ونظرات فكريّة ثاقبة تتوافق مع ما جاءت به نظريّات اللّسانيات الاجتماعية حديثا.

كما إنّي أردت بهذا البحث أن أُزاوج بين التّراث العربي القديم والنظريّات اللّسانيات الحديثة في مجال الدّراسات اللّغوية من منطلق تسليط الضّوء عليه وفق النّظريات اللّسانية الغربية الحديثة ومعرفة إسهامات القدامى في هذا المجال.

فكان هذا البحث بعنوان :

"**القضايا اللغوية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ في ضوء اللسانيات الاجتماعية**"

وقد قُسّم هذا البحث إلى مقدّمة و فصل نظري وآخر تطبيقي وخاتمة على النحو التالي:

- **الفصل النظري** تطرّقت فيه إلى الدّراسات اللّغوية العربية القديمة ذات الصّلة باللسانيات الاجتماعية في مدخل، ثم تناولتُ فيه مفهوم

اللّسانيات الاجتماعية ثم نشأتها، ثم بين علم اللّغة الاجتماعي واللّسانيات الاجتماعية، وأخيرا مجالات اللّسانيات الاجتماعية وأهمّيتها.

- **أمّا الفصل التطبيقي:** فقد تناولتُ في **مدخل** لمحة عن حياة الجاحظ وعرض لمؤلّفه "البيان والتبيين" ثم السّياق اللّغوي الاجتماعي الذي أُلّف فيه هذا الكتاب. وفي **المبحث الأوّل** تناولتُ الاتّصال اللغوي (اللّفظي وغير اللّفظي) وفي **المبحث الثّاني** تناولتُ التنوّع اللّغوي وفي **الثّالث** تناولتُ الطّبقات اللّغوية وفي **الرّابع** الصّراع اللّغوي وفي **الخامس** الازدواجية اللغوية وفي **السادس** الثنائية اللغوية وفي **المبحث السّابع والأخير** المواقف الكلاميّة.
- أما **الخاتمة** فقد حَوْصلتُ فيها كل ما تمّ الوصول إليه في المباحث التطبيقية بإيجاز.

أسباب اختيار الموضوع:

- كنتُ منجذبا منذ سنواتي الأولى في الجامعة إلى الدّرس اللّغوي القديم وإلى كلّ أعلامه وكل نظريّاته، فكانت هذه فرصة للبحث أُتيحت لي عسى أن أَستفيد وأُفيد.
- لاحظت أن عديد الأقلام التي تناولتْ الجاحظ بالبحث سواء من المتقدّمين أو من المتأخّرين لم تتطرّق في دراستهم له لكلّ جوانبه اللّغوية ومن هنا قرّرت الكشف عن جانب مهمل من هذا التّراث ألا وهو الجانب الاجتماعي للظّاهرة اللّغوية الذي لم ينلْ حقّه من الدّراسة والبحث المُعمّق.
- إضافة إلى ضرورة إبراز آثار وجهود علمائنا اللّغوية خاصّة في علم اللّغة الاجتماعي.
- كما أن المزاوجة بين الدّرس اللّغوي العربي القديم والدرس اللغوي الحديث تثري البحث العلمي وتخدم اللّغة العربية.

إشكالية البحث:

إشكالية البحث الرئيسة:

- ماهي القضايا اللّغوية التي تطرّق إليها الجاحظ في كتابه البيان والتبيين في ضوء اللسانيات الاجتماعية؟

الإشكاليات الفرعية:

- هل تعدّ دراسة علماء اللّغة العرب القدامى للّغة في إطارها الاجتماعي من الإرهاصات الأولى للّسانيات الاجتماعية؟
- هل درس الجاحظ اللّغة في إطارها الاجتماعي؟
- هل تطرّق الجاحظ إلى الظّواهر اللّغوية وغير اللّغوية في كتابه البيان والتبيين؟
- هل تطرّق الجاحظ إلى المستويات اللّغوية؟
- هل تطرّق الجاحظ إلى المواقف الكلامية؟
- ما نقاط التّشابه بين ما ذكره الجاحظ وما استقرّ اليوم في علم اللّغة الاجتماعي؟

منهجية البحث:

اعتمدت المنهج الوصفي مستعينا بالمنهج التاريخي والتقابلي، من خلال الطريقة الاستقرائية لكل مقولات الجاحظ في "**البيان والتبيين**" وتحليلها، ثم ربطها بالنظريات الحديثة. وقد اعتمدتُ في عملي على منهجية الجمع بين **عرض** مفهوم النظريّات الحديثة، و**النّظر** في كلام الجاحظ ومقارنته بما جاء في هذه النّظريات وتِبيان أوجه التّشابه بينهما .

الدراسات السابقة:

ما أُلّف عن الجاحظ كثير، ما بين المقالات والكتب والبحوث العلمية، لكنّ الدراسة التي تتّجه للكشف عن النظرة اللغوية الاجتماعية التي كان ينطلق منها في معالجة كثيرا من قضايا اللغة محدودة، وما ألفيتُه من الدراسات في هذا المجال قليل جدا، و إن وُجد فهي عبارة عن مقالات علمية لم تتّسمْ بطابع الشّمول والتّكامل. كما

أنّ معظم ما وُجد من الدّراسات السّابقة التي تناولتْ الجاحظ، إنما كانت من جانب علم اللّغة العام وليست متخصّصة في مجال اللسانيات الاجتماعية. **وممّا وجدته:**

- **الظواهر اللغوية في كتابي الحيوان والبيان والتبيين للجاحظ** أطروحة دكتوراه لصاحبتها **عائشة محمد عثمان مصطفى** بجامعة الخرطوم سنة 2006م.

  إلا أنّ الدراسة كانت دراسة صوتية فقط ولم تتطرّق للبعد الاجتماعي للغة.

- **الأنظار اللغوية لدى الجاحظ في البيان والتبيين** بحث في مجلة البلقاء للبحوث والدراسات بجامعة جرش بالأردن لصاحبه **أحمد فليّح** و الذي لم يتطرّق في قضاياه للبعد الاجتماعي مطلقا.
- **دراسة في المستويات اللغوية في مؤلفات الجاحظ** لصاحبها الحبيب النّصراوي .

  وإن كانت الدراسة دراسة لسانية معجمية إلا أنّ صاحبها تطرّق لعديد القضايا اللغوية وقد تحدث في الفصل الثالث عن العامية وربطها بالبعد الاجتماعي.

  ولكن الدراسة تبقى غير متخصصة في اللسانيات الاجتماعية.

أهم المراجع التي اعتمدت عليها : **علم اللغة الاجتماعي** لهدسون و **علم اللغة الاجتماعي** لكمال بشر و **تطور علم اللغة منذ 1970** لجرهارد هلبش وغيرها.

أما صعوبات البحث فضيق الوقت كان العائق الأساس بالإضافة لاستحالة حصولي على بعض المراجع المهمة لبُعدي عن المكتبة الجامعية.

كما لا يفوتني أن أشكر الأستاذ المشرف **حكيم رحمون** الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته السّديدة وآرائه القويمة التي كانت نعم السّند في هذا البحث.

ملاحظة: تنازع مصطلحي:**علم اللغة الاجتماعي** و**اللسانيات الاجتماعية** على السّاحة الأكاديمية جعل بعض المراجع تستعملهما بالتناوب للدلالة على علم واحد.

الفصل الأول

اللسانيات الاجتماعية النشأة والمجالات

مدخل: الإرهاصات الأولى للدراسات اللغوية العربية قديما وحديثا من منظور اجتماعي وصلتها بالعلوم اللغوية الحديثة.

1.مفهوم اللسانيات الاجتماعية

2.نشأة اللسانيات الاجتماعية

3.بين علم اللغة الاجتماعي واللسانيات الاجتماعية

4.مجالات اللسانيات الاجتماعية

5.أهمية اللسانيات الاجتماعية

الفصل الأول :اللسانيات الاجتماعية النشأة والمجالات

مدخل: الإرهاصات الأولى للدراسات اللغوية العربية قديما وحديثا من منظور اجتماعي وصلتها بالعلوم اللغوية الحديثة.

أولا: لمحة عن الدراسات اللغوية العربية قديما

لم يكن البحث اللغوي من الدّراسات المبّكرة عند العرب القدامى لأنّ العرب وجّهوا جلّ اهتماماتهم إلى العلوم الشّرعية والإسلامية فكان القرآن الكريم أسمى هدف لهذا الدّرس وبالتالي فإن جلّ اهتمامات هذا الدّرس كان بهدف قراءة كتاب الله دون لحن أو تصحيف بُغية فهمه ممّا استدعى ظهور علم لساني يضبط هذه المفاهيم وِفْق قواعد وأُطر محدّدة.

وبعد أن أتمّ المسلمون تدوين الحديث والتّأليف في الفقه والتّفسير اتّجهوا نحو علوم غير شرعية ومن بينها اللّغة والنّحو وكان ذلك في منتصف القرن الثّاني للهجرة، وحتى الدراسات التي وجدت قبل ذلك إنّما كانت لاعتبارات دينيّة.[1]

أما الإرهاصات الأولى للدّراسات اللّغوية فهي ما عُرف بنقط أواخر كلمات المصحف نقاط إعراب والتي قام بها أبو الأسود الدّؤلي ، ثمّ نقط الإعجام التي وضعها نصر بن عاصم اللّيثي، فكانت هذه العمليّة مرحلة تأسيسية للدّرس اللساني العربي ولكن قد ترتّب عن هذه العمليّة عدم التمييز بين نقط الإعراب ونقط الإعجام فجاء الخليل بن أحمد ليضع حدا لهذا الإشكال وذلك بوضع أشكال خاصّة بنقط الإعراب استوحاها من أشكال بعض الحروف فـ«الحركات أبعاض حروف المدّ واللّين وهي الألف والياء والواو فكما أن هذه الحروف ثلاثة فكذلك الحركات ثلاث

[1] ينظر أحمد مختار عمر؛ **البحث اللغوي عند العرب**، ط6، القاهرة، 1988، دار عالم الكتب، ص:79.

وهي الفتحة والكسرة والضمة فالفتحة بعض الألف والكسرة بعض الياء والضّمة بعض الواو»[1].

ثم توالت الدّراسات اللّغوية، ومن الذين ألّفوا في عدّة مناح لغويّة وكان لهم فضْل السّبق فيه إمام النحاة سيبويه في مصنّفه الشهير "**الكتاب**" والجاحظ في مؤلّفيه الشهيرين "**البيان والتبيين**" و"**الحيوان**" وابن جني في كتابه "**الخصائص**"، فبرزت في مؤلفات هؤلاء إشارات دالة على تأثر اللغة بوقائع المجتمع لأن اللّغة مسلك اجتماعي موصول بأعراف المجتمعات تتأثر بها وتدلّ عليها سواء أكان ذلك في الأداء اللغوي أم كان في البنية الذهنية التي توجّهه، فـ «بعض جوانب بناء اللغة لا يمكن وصفها إلا بالرّجوع إلى الكلام على أنّه سلوك اجتماعي في المقام الأول.»[2]

ثانيا : لمحة عن الإرهاصات الأولى لعلم اللغة عند العرب حديثا

شهد عالمنا الحديث بداية القرن العشرين نهضة لغويّة واسعة عند الغرب أسّست لنظريّات بحثيّة لسانيّة اكتسبت مكانة عالميّة لشموليتها وبُعد تأثيرها، وهذه اللّسانيات النّظريّة تبحث بالنّظريّات اللّغويّة ونماذجها المتفرّعة عنها، وكيفيّة معالجتها للبُنى اللّغوية سواء أكانت قديما أم في العصر الحديث. وقد جعلت من دراسة اللسانيات في اللغات المختلفة واقعا ملموسا لاسِيَما عند مَن التحق بدُورِهم وتأثر بهم أو ترجم أعمالهم كما في عالمنا العربي من علمائنا المُحدثين.

وتعود الإرهاصات الأولى لانتقال الفكر اللّغوي الحديث إلى العالم العربي، إلى بداية الاتّصال بالحضارة الغربية في العصر الحديث سواء أكانت بالبعثات العلمية أم بترجمة المؤلفات الغربية. و يُعدّ "**رفاعة الطّهطاوي**" من الأوائل في ذلك حيث

[1] أبو الفتح عثمان ابن جني؛ **سر صناعة الإعراب**، تح. حسن هنداوي، دط، دت، جزء1، ص:17.

[2] د.هدسون؛ **علم اللغة الاجتماعي**، تر. محمود عياد، ط2، القاهرة، 1990، دار عالم الكتب للنشر، ص:44.

أثار في بعض كتبه الاهتمام بدراسة اللّغات، واللّغة الفرنسية أثناء بعثته هناك. وكان الطّهطاوي قد ساهم في القضايا اللغوية التالية: التّعريب والمصطلح وتبسيط النحو العربي وفهم طبيعة اللغة. [1]

ثالثا : بين الدراسات اللغوية العربية القديمة وعلم اللسان الحديث

التّراث العربي زاخر بالدُّرَر ولا مجال لقراءته والاستفادة منه استفادة واسعة إلاّ بالعلم ، فالعلم الحديث بحقّ يساعد على فهم التّراث وأبعاده إذ تعتبر نظريّاته أضواء كاشفة فكل ضوء يرى مجال اختصاصه ويكشف حدود رُؤاه كما لم تكن بادية من قبل.

وبين القديم والحديث صِلة قُربى إذ لا ينكر عاقل دَور الموروث وأهميّته البالغة في النّهوض بالحضارة والحفاظ على الهويّة والتّاريخ لكلّ أمّة، كما« أن صلة القربى ليست فقط بين التُّراث اللغوي العربي واللسانيات، وإنما هي موجودة أصلا بين التُّراث اللغوي العالمي واللسانيات. هذه الحقيقة هي قانون علمي للظَّواهر الحضارية؛ ذلك لأن اللسانيات لم تنشأ في فراغ لتخدم في فراغ، وإنّما هي شيء لاحق لشيء سابق. ».[2]

ولقد أثبت باحثون لسانيون غربيون، منصفون أمثال: "**روبنز**"، "**تشومسكي**" و"**كوك**" تأثّر اللّسانيات الحديثة بالتُّراث اللّغوي العربي، وذلك عن طريق وسائل مختلفة، سواء أكانت مباشرة بالاطّلاع على التُّراث اللغوي العربي باللّغة العربية أم

[1] مصطفى غلفان؛ **اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة**، ط1، الدار البيضاء المغرب، 2006، شركة النشر والتوزيع المدارس، ص:22.

[2] مازن الوعر؛ **(صلة التراث اللغوي العربي باللسانيات)** مجلة التراث العربي، سوريا، 1992 المجلد12، العدد48، ص:86

غير مباشرة عن طريق ترجمة أعمال النُّحاة واللغويين والبلاغيين العرب إلى لغات أجنبية كثيرة؛ وخاصّة اللغة الألمانية.[1]

المطلب الأول : مفهوم اللسانيات الاجتماعية (علم اللغة الاجتماعي)

بين مفهوم اللغة والمجتمع، دَلَفَ إلى حقل الدراسات الإنسانية وافد جديد نسبيّا مزج بين هذين التّصنيفين، هدفه الوقوف على القوانين التي تخضع لها الظّاهرة اللّغوية في نسقها العام وفي حياتها وتطوّرها وما يعْتَوِرها من شؤون الحياة وقضايا المجتمع، والتي لها تأثير في اختيار النّاس للّغة، هذا الوافد هو ما نطلق عليه "**علم اللغة الاجتماعي**" أو "**اللسانيات الاجتماعية**" حيث تظهر تفاعلات المجتمع وطبيعة الحياة التي يحياها المتكلّمون في اللغة فتؤثر في طرائق استعمال النّاس للغة وطبيعة اختياراتهم[2].

وإذا كانت اللسانيات البنيويّة السّوسيرية تهتم بدراسة اللغة في حدّ ذاتها، ضمن ما يسمى باللسانيات البنيويّة الشّكلية، فإن اللسانيات الاجتماعية تدرس الكلام أو التلفظ في علاقته بالسّياق التّواصلي الاجتماعي.

كما تعنى اللسانيات الاجتماعيّة بدراسة التنوّع المشترك بين الظّواهر اللّسانية والمجتمعية، ورصد العلاقات الموجودة بين هذه الظّواهر بتحديد السّبب والنتيجة. ويعني هذا ضرورة البحث عن أسباب التغيّرات التي تحدث على المستوى اللّساني، وربطها بمسبّباتها الاجتماعية أو سياقها التّلفظي والتّواصلي.

---

[1] مازن الوعر؛ **(صلة التراث اللغوي العربي باللسانيات)** مجلة التراث العربي، المجلد12، العدد48، ص:86.

([2]) ينظر صبري السيد؛ **علم اللغة الاجتماعي**، د.ط، الإسكندرية، 1995، دار المعرفة الجامعية، ص:15.

- يعرفها "علي عبد الواحد وافي" : «دراسة العلاقة بين اللغة والظّواهر الاجتماعية، وبيان أثر المجتمع ونظمه وتاريخه وتركيبه في مختلف الظّواهر اللغوية»[1] .
- يعرفها "جون لاينز" :«هي دراسة اللغة من حيث علاقتها بالمجتمع»[2]
- يعرفها "فيشمان": «علم يبحث التفاعل بين جانبي السّلوك الإنساني واستعمال اللغة و التّنظيم الاجتماعي للسّلوك، و يركّز على الموضوعات التي ترتبط بالتنظيم الاجتماعي لسلوك اللغة.»[3]
- يعرفها "محمد علي الخولي":«علم يدرس مشكلات اللّهجات الجغرافية واللّهجات الاجتماعية والازدواج اللغوي والتّأثير المتبادل بين اللغة والمجتمع.»[4]
- ويعرفها "أحمد شفيق الخطيب": « دراسة اللغة من ناحية صلتها بالعوامل الاجتماعية مثل الطّبقة الاجتماعية والمستوى التعليمي ونوع التعليم والعمر والجنس والأصل العرقي.»[5]

وهي فرع لغوي حديث نسبيّا، يدرس التنوّعات اللّغوية، والعلاقة بين اللّغة والثقافة والفكر، والكلام بوصفه نوعا من أنواع التّعامل الاجتماعي، وتحليل الخطاب، ومشكلات اللّهجات الجغرافية، واللّهجات الاجتماعية، والازدواج اللّغوي. وكل دراسة

([1]) علي عبد الواحد وافي؛**علم اللغة**، ط9، نهضة مصر للطباعة و النشر والتوزيع، مصر، 2004، ص13.

[2] محمد عفيف الدين دمياطي؛ **مدخل إلى علم اللغة الاجتماعي**، ط2، اندونيسا، 2017، مكتبة لسان عربي للنشر والتوزيع، ص:8.

[3] المرجع نفسه، ص:8

[4] المرجع نفسه، ص:8

[5] المرجع نفسه، ص:8

للغة ترتبط بالمجتمع وأي تأثير متبادل بينهما، وذلك من خلال دراسة اللغة كما يستعملها متحدثون حقيقيون في سياقات اجتماعية وحالية.[1]

و دراسة الظّاهرة اللغوية في ضوء اللسانيات الاجتماعية تستهدف تحقيق غرضين:

أولا : محاولة إيجاد الرّوابط بين التركيب الاجتماعي والتّركيب اللّغوي وملاحظة أية تغييرات تُذكر في هذا الشّأن.

ثانيا : تحليل طبيعة العلاقة الموجودة بين أنماط الظّاهرة اللغوية وبين مختلف مكوِّنات البناء الاجتماعي. وهو يكشف عن العلاقة بين متغيرين، ولا يكشف عن السّببية التي قد تستنفد جهد الباحث اللغوي دون أن تقدّم نتائج يأمل الوصول إليها.[2]

وبما أن اللّسانيات الاجتماعية تختصّ بدراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع، فمن المتوقع منها أن تتناول الوحدات الاجتماعية الكبرى كالأمم والقبائل والطّبقات الاجتماعية لدى دارسي هذا العلم، وبما أن الفرد هو نواة المجتمع الأولى، فقد اتّفق علماء الاجتماع وعلماء علم اللغة الاجتماعي «على ضرورة جعل الفرد مركز الاهتمام الرئيسي في هذه الدراسات، حتى لا يغيب الفرد عن البال حين نتحدث عن الأحداث والمجردات واسعة النّطاق. فأهميّة الفرد في علم اللغة الاجتماعي تشابه أهمية الخليّة الفردية في علم الأحياء. وإذا ما عجزنا عن فهم سلوك الأفراد فإنّنا سنعجز حتما عن فهم سلوك الجماعات.»[3]

([1]) ينظر محمد علي الخولي؛ **معجم علم اللغة النظري**، د.ط ، لبنان،1991، مكتبة لبنان ناشرون، ص:261.

([2]) ينظر صبري السيد؛ **علم اللغة الاجتماعي**، دط، ص:9.

([3]) د.هدسون؛ **علم اللغة الاجتماعي**، تر. محمود عياد، ط2، ص:13.

المطلب الثاني : نشأة اللسانيات الاجتماعية

كانت إرهاصات النّشأة لهذا العلم وتكامله في نهاية السّتّينيّات وبداية السّبعينيّات من القرن العشرين، والجديد الذي استُحدث في هذه الفترة الاهتمام الواسع به، وتجميع نقاطه ومسائله، وكثرة المؤلفات فيه، والإدراك بأن علم اللغة الاجتماعي قادر على كشف الكثير ممّا كان غامضا من طبيعة اللغة وطبيعة المجتمع[1].

لكننا قبل هذه الفترة لا نعدم ما يُشير إلى اتّصال البحث اللغوي بعلم المجتمع، ويمكننا أن نلحظ مرحلتين تأريخيتين مرّ بهما هذا العلم قبل مرحلة نضجه:

1. المرحلة الأولى:

حين نتتبع جذور هذا العلم وبواكير نظريّاته فإنّ الزّمن يعود بنا إلى القرن السادس عشر أو حتى قبله،« فلعلّ الفيلسوف "هوبز" (القرن16-17) أول من فكّر في الجماعة باعتبارها شخصيّة مستقلة عن الأفراد لها كيانها وإرادتها. وعن "هوبز" أخذ "لوك" (القرن17) و"روسو" (القرن18) فكرة العقد الاجتماعي وفكرة العقل الجمعي أو الإرادة الجمعيّة. وقد أدّتْ هاتان الفكرتان دورا إيجابيا في تفكير اللغويين. أما فكرة العقد الاجتماعي فقد قال بها عدد من اللغويين في سياق بيان نشأة اللغة الإنسانية، فقرّروا أن اللغة نتيجة اصطلاح وتواضع بين أفراد الجماعة».[2]

ثم في القرن الثامن عشر ظهر ذلك بشكل واضح بالسّؤال الذي طرحه كل من الفلاسفة والمفكرين عن العلاقة بين اللغة و متكلّميها ، ومن هؤلاء : "يوهان"، "فوتغيرد"،"هلدر" و"جينس". ثم في القرن التاسع عشر كان الألمان قد اندفعوا إلى

([1]) ينظر د.هدسون؛ **علم اللغة الاجتماعي**، تر. محمود عياد، ط2، ص:16.

([2]) عبد الرحمن أيوب؛ **اللغة والتطور**، د.ط، القاهرة، 1969، معهد البحوث والدراسات العربية، مطبعة الكيلاني، ص:59.

أبحاث تاريخية في الماضي الجرماني رغبة في إعلاء شأن القيم القوميّة والإشادة بها، بما في ذلك اللغة الألمانية وتاريخها. لأن تفوّق البنية اللغوية بُرهان أكيد على تفوق الذهنية والعرق. [1]

2. المرحلة الثانية:

وهي من بداية القرن العشرين، ومع ولادة علم اللغة الحديث الذي كان على يد "سوسير" وقد تضافرت جهود متواصلة لعلماء الاجتماع الألمان والفرنسيّين ومن أشهرهم "دوركايم" وهذا الأخير قد أدرك التفوق المتزايد لعلم اللغويّات على بقيّة العلوم الاجتماعية، ونصح بتشييد دراسة اجتماعية لغوية. وكان لنظريّاته تأثير مباشر في الدراسات الأخرى ذات الصّلة، فتحول مفهومه لمجال علم الاجتماع من الحقائق الاجتماعية إلى الحقائق اللغوية، ثم أخذ " سوسير" عنه بعض الأفكار من مثل تمييزه ما هو فردي ممّا هو اجتماعي، فميّز بين طبيعة الكلام الفردية والطبيعة الاجتماعية العامّة للغة، حيث إنّ دراسة اللغة تتضمّن قسمين « قِسم أوّل وهو جزء أساسي وموضوعه اللسان الذي هو مجتمعي في ماهيّته ومستقل عن الفرد وهذه الدراسة هي على وجه التحديد سيكولوجية أما القسم الثاني وهو جزء ثانوي وموضوعه ذلك الجانب الفردي في اللغة أي الكلام ويدخل فيه التصويت وهذا القسم الأخير دراسته سيكولوجية وفيزيائية معا».[2]

بيد أنّ تركيز "سوسير" على اللغة العامّة بدل اجتماعية اللغة، أضعف الاهتمام بالجانب الاجتماعي للغة. كما أن فصله بينهما قاده «إلى تضييق مجال علم اللغة

([1]) ينظر ر.هـ. روبنز؛ **موجز تاريخ علم اللغة في الغرب**، تر.أحمد عوض، الكويت،1997، سلسلة عالم المعرفة 227، ص:285،278.

([2]) فردناند دي سوسير؛ **محاضرات في علم اللسان العام**، تر.عبد القادر قنيني، د.ط، المغرب، 1987، أفريقيا الشرق، ص:29.

وتقييده. وحين جعل موضوع علم اللغة النّظام اللغوي فقط بوصفه ظاهرة مستقلّة أهمل كل الظّواهر والمشكلات المرتبطة باللغة باعتبارها (غير لغوية)، واستبعدت الأسس النفسية للغة و تحديدها (حتميتها) الاجتماعية، ومن ثم في الوقت نفسه تطورها التاريخي من البحث وبذلك انحرفت عن مجال النّظرة تبعية النظام اللغوي للوظائف التّواصلية و محدّداته الاجتماعية (التي تشكّل الأساس لتفسير سببي للتغيرات اللغوية واختلاف النظام اللغوي وتنوّعه)، واستُبعد الموضوع الحقيقي لعلم اللغة»[1]

وأما المدرسة البنيويّة الأمريكية بزعامة "بلومفيلد" وأصحابه نسجت على المنوال نفسه في النّأي بنفسها عن الأبحاث اللغوية المرتبطة بالمجتمع.

غير أنّ "بلومفيلد" اقترب نسبيّا من معالجة بعض مسالك علم اللغة الاجتماعي من خلال دراسته بعض اللهجات الإقليمية، ولكنه أهمل استكشاف المواقف من اللغة في المجتمعات التي تمّت دراستها، وكذا اكتشاف أنماط من تنوع اللغة داخل هذه التجمعات[2].

وبذلك تكون البنيوية قد أهملت بجناحيها الأوروبي والأمريكي البعد الاجتماعي للغة، عدا بعض إشارات يسيرة، وعُنوا في دراستهم بالمنهج الوصفي مهتمين بالصّوتيات والاشتقاق والتّراكيب، دون التفات يذكر إلى السّياق، أو إلى التنوّعات

(1) جرهارد هلبش؛ **تطور علم اللغة منذ 1970**، تر. سعيد حسن بحيري، ط1، القاهرة،2007، مكتبة زهراء الشرق. ص:100.

(2) ن. ي. كولنج؛ **الموسوعة اللغوية**، تر. محي الدين حميدي وعبد الله الحميدان، مج2، الرياض، 1421هـ، النشر العلمي و المطابع، ص:489-490.

اللغوية الحادثة من الأفراد. فنَظَروا إلى القوانين العامّة التي تحرّك اللغة، والنظام الشامل الذي تتحرك اللغة في نطاقه، دون النّظر للاستخدام الفردي الفعلي لها[1].

ثم جاءت بعدهم المدرسة التّوليدية التّحويلية بريادة: "شومسكي" فباعدت الشُقّة عن الجانب الاجتماعي للغة أكثر من سابقاتها، وأهملت بل استبعدت في أعمالها علاقة اللغة بالمجتمع.

إلا أنّنا يمكن عدّ المحاولات التي تمّت على يد "سابير" (1921) لفتة مهمّة ومنعطفا بارزا في نشوء علم اللغة الاجتماعي، الذي أكّد على ضرورة إيجاد جسر من العلاقات بين علم اللغويات والدّراسات الاجتماعية، التي تمثل عنده علامة بدء للإحاطة بأبعاد اللغة إحاطة تأخذ في حسبانها العلاقة المتداخلة الحقيقية بين البشر.

أعقبتها محاولة العالم الأنثروبولوجي الاجتماعي البولندي "برونزلوف مالينوفسكي" التي عُدّت الباكورة الفعلية في دراسة العلاقة بين اللغة والظّواهر الاجتماعية؛ حيث لفت الأنظار عام **1930** إلى مفهوم جديد في اللغة، وهو ضرورة البحث عن نظريّة تجمع اللغة والمجتمع من منطلق إثنوغرافي ، وذلك حينما قام بدراسة وظيفة اللغة الاجتماعية بين سكّان جزر "التروبريندا" القريبة من غينيا الجديدة، فلاحظ أن سلوك السكان يرتبط باستعمالاتهم اللغوية، وخَلُص إلى أنه يلزم لدراسة اللغة في الجماعة البدائية أن يُمهّد لها بدراسة للنشاط الإنساني العام، فتبيّن أن دراسته هذه لن تصحّ دون معرفة الوظيفة التي تقوم بها اللغة في المجتمع. كما أبرز نظريّته في الصّلة بين اللغة والعمل.[2]

([1]) ينظر كمال بشر؛ **علم اللغة الاجتماعي** مدخل، ط3، القاهرة، 1997، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ص:56-57.

([2]) ينظر محمد حافظ دياب؛ **مقدمة في علم اجتماع اللغة**، د.ط، مؤسسة الأنوار، الرياض ،دت، ص: 268.

و تزامنا مع هذه الفترة في ثلاثينيّات القرن العشرين ظهرت المدرسة الماركسيّة. وكانت مهمّة علماء علم اللغة السّوفييت المحورية منذ البداية اللغة بوصفها ظاهرة اجتماعية، إذ أدركوا التّأثير المتبادل بينها وبين المجتمع، وأبرز علمائهم في ذلك "بتاليم نيكولاي مار".

و قد قدّم "بتاليم نيكولاي مار" تحليلا تَعرّض فيه إلى أن اللغة بِنية اجتماعية فوقية، وكان يفترضُ خطًّا متوازيّا بين النّظريات اللغوية والتّكوين الاجتماعي والاقتصادي. وكل ما يلابس هذا التّكوين الاجتماعي والاقتصادي فإنه يؤثر تأثيرا حاسما سريعا في اللغة. ورغم أن "ستالين" نقض بعد ذلك آراء "مار" إلا أن ما دوّنه الأخير يُحسب له في هذا الميدان، وعُدّ إسهامهم لَبِنَة أساسية في تشييد هذا الفرع اللغوي[1].

والتّطور الأهم في مدارس النّصف الأوّل من القرن العشرين"حلقة براغ"، فقد كانت مدرسة "براغ"، التي أفادت كثيرا من أصول مدرسة "سوسير"، ولكنها غيّرت بعض هذه الأصول وطوّرت بعضها الآخر. وكان من أشهر مؤسّسي هذه المدرسة "نيكولاي تروبتسكوي" و"رومان جاكبسون" ومن أفكار مدرسة براغ ذات الأثر الكبير في الدرس اللغوي، تحديد الوظيفة الحقيقيّة للّغة، التي تتمثّل في (الاتّصال)، وما أثارته هذه الوظيفة من أسئلة في ذهن اللغوي مثل (كيف يتم الاتّصال؟) و(لمن يوجه؟) و(في أي مناسبة؟) وغير ذلك.

كما أنّ من أفكار هذه المدرسة أن اللغة ظاهرة طبيعية، ذات بعد مادّي يتّصل بعوامل خارجيّة، يتعلّق بعضها بالبيئة الاجتماعية وبعضها الآخر بالسّامع، ويرجع قسم آخر إلى الموضوع الذي يدور عليه الكلام. وكان أعضاء هذه المدرسة يُولُون

(1) ينظر جرهارد هلبش؛ **تطور علم اللغة من 1970**، ط1، ص:358-392.

قدرا كبيرا من الأهمية للطريقة التي تزوّد اللغة بها المتكلّم بعدد من أساليب الكلام تُلائم الأوضاع الاجتماعيّة المختلفة.

ونتيجة لهذه الفكرة برز في الدّرس اللغوي الحديث ما يُعرف بمستويات الاستعمال اللغوي، كاللغة الثقافية، واللغة الأدبية، واللغة العاميّة. ومما دعت إليه مدرسة "براغ" أيضا:

الكشف عن تأثر اللغة بكثير من الظّواهر العقلية والنفسية والاجتماعية [1].

ومن الأسماء البارزة في هذا المجال أيضا: "وايلد"، حيث يعدّ أول من اقترح نظرية للتنوّع والتغيّر اللغويين الاجتماعيين، وكانت تنصّ:

على أن اختلاف الطبقات المتوسّطة القلقة في المجتمع تحاول تبني صيغ الطبقة التي فوقها في الهرم، ثم وسّع "لابوف" هذه النقطة بصورة أكثر تنظيما [2].

ويمكننا أن نلمح البداية الفعلية للّسانيات الاجتماعية بعد الحرب العالمية الثانية، وأبرز معطياتها تمثلت في مدرسة لندن، فقد جاءت مدرسة لندن لعلم اللغة في الفترة (1950-1965) بريادة العالم الإنجليزي "فيرث" وأتباعه "مايكل هاليداي" و"تيرنس ميتشل".

ومثّلت مدرسة لندن المنعطف الأهم في بزوغ علم اللغة الاجتماعي. فقد تأثّر "فيرث" بـ"مالينوفسكي" وهو الذي أكّد على ضرورة دراسة اللغة ضمن إطاراتها

([1]) ينظر جفري سامسون؛ **مدارس اللسانيات التسابق والتطور**، تر محمد زياد كبة، د.ط، الرياض،1417هـ، مطابع جامعة الملك سعود، ص:106 و ما بعدها .

([2]) ينظر المرجع نفسه، ص131.

الاجتماعيـة. وتوسّـع "فيـرث" فـي هـذا المفهـوم، وأكّـد علـى أن المعنـى هـو علاقـة بـين العناصر اللغوية والسّياق الاجتماعي[1].

وارتـبط اسـم "فيـرث" بنظريـة السّـياق، وهـو المحـيط الـذي تبُاشـر فيـه العمليـة الكلاميـة. وقـد شـرع فيـرث فـي وضـع نظـام يطبّـق علـى الأحـداث اللغويـة (المواقـف) وكـان ينظـر إلـى المعنـى علـى «أنّـه علاقـة مـن العناصـر اللغويـة والسّـياق الاجتمـاعي، بحيـث تتحـدّد معـاني تلـك العناصـر وفقـا لاسـتعمالها فـي المواقـف الاجتماعيـة المختلفـة» [2] مـدفوعا بالرّؤيـة التـي اسـتقرّت لديـه منـذ أمـد، حيـث أكّـد علـى النظـرة الاجتماعيـة للغـة بقولـه إنّ الإنسـان لـيس مفصـولا عـن العـالم الـذي يعـيش فيـه، إنـه ليس إلاّ جزءا منه، وهو موجود فيه ليفكر فيه.

و أول ظهـور فعلـي لمصـطلح علـم اللغـة الاجتمـاعي لبحـث العلاقـة بـين السّـلوك اللغـوي والوضـع الاجتمـاعي، سـنة 1952 فـي عمـل "لكـوري"، ولكنّـه ظـلّ بـادئ الأمـر بـلا نتـائج، ولـم يحصـل المصـطلح علـى معنـاه المبـدئي إلا سـنة 1964 حـين أصـدر "هـايمز" سـنة 1964 المجلّـد الجـامع مـع الأعمـال التـي نشـأت منـذ عشـرين عامـا حـول الأهميـة الاجتماعيـة للغـة، وحـين أقـيم المـؤتمر الأول لعلـم اللغـة الاجتمـاعي تحـت هـذا العنـوان فـي جامعـة كاليفورنيـا فـي لـوس أنجلـوس، وحـين أثبـت "لابـوف" سـنة 1966 فـي مجـال تجريبـي فـي عملـه حـول الاسـتعمال اللغـوي المميّـز للطّبقـات فـي نيويـورك التّنـوع المنـتظم لظـواهر لغويّـة بمقـاييس اجتماعيـة. ومنـذ ذلـك الوقـت انتشـر بسـرعة وامتدّ الاتّجاه المسمّى **علم اللغة الاجتماعي**. [3]

([1]) مصطفى لطفي؛ **اللغة العربية في إطارها الاجتماعي**، ط1، لبنان، 1976، معهد الإنماء العربي، ص:32.

([2]) المرجع نفسه، ص:32.

([3]) ينظر جرهارد هلبش؛ **تطور علم اللغة من 1970**، ط1، ص:356.

و منذ العام (1970) شهدت النّشاطات اللسانية إقبالا على علم اللغة الاجتماعي القائم على التّواصل، وانصرافا عن علم اللغة القائم على النّظام، من خلال دراسة اللغة كما يستعملها متحدّثون حقيقيّون في سياقات اجتماعية وحالية. وحدثت في العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين تطوّرات سريعة فيما يُعرف بـ(اللسانيات الاجتماعية) وهو بذلك انتقال من خواص اللغة الداخلية للنّظام اللغوي إلى وظيفة اللغة في التّواصل الاجتماعي. فنشأت فروع جديدة مرتبطة بعضها ببعض، مثل علم لغة النّص، وعلم اللغة البراجماتي(التّداولي)، ونظريّة الفعل الكلامي، وعلم اللغة الاجتماعي، وعلم اللغة النفسي، وصار من التأمل العام للعلاقة بين اللغة والمجتمع طريق لفهم أدق للغة داخل المجتمع. وتسارعت وتيرة التطّور عن طريق وسائل التّقدم التكنولوجي، وخصوصا آلات التسجيل، فأمكن جمع عينات حقيقية كبيرة من الكلام في سياقات طبيعية.[1]

وقد اجتهد علماء اللغة لاحقا في استقلال علم اللغة الاجتماعي بملامح مميزة من غيره من فروع علم اللغة ومن أبرز الأسماء التي أسهمت في بلورته وتطوره، هم:

- شارلز فرجسون (1959)، وجومبيرز(1960)، حيث درسا التنوع اللغوي في جنوب آسيا.
- ويليام لابوف (1971)، و برلينج (1970)، وبرايد (1971)، وجوشوا فيشمان(1972) الذي درس الولاء اللغوي في الولايات المتحدة الأمريكية.
- وروبينسون (1972)، و بيتر تردجل (1974)، وبلات وبلات (1975)، وبيل (1976)، ودايتمار(1976)، ووارده (1976).

(1) ينظر جرهارد هلبش؛ **تطور علم اللغة من 1970**، ط1، ص:25-28.

- ج. ميلـــــــوري (1983)، وهـــــــاريس (1985)، وتردجـــــــل (1986)، وكيرســـويل(1987)، وبـــراون وليفينســـون (1987) و رالـــف فاســـولد فـــي تسعينيات القرن العشرين[1].

المطلب الثالث: بين علم اللغة الاجتماعي وعلم الاجتماع اللغوي

هنـاك مـن يطلـق مصـطلحي "علـم اللغـة الاجتماعي"(اللسـانيات الاجتماعيـة) و"علـم الاجتمـاع اللغـوي" بالتبـادل للدلالـة علـى علـم واحـد، دون أيّ تفريـق، كمـا هـو الحـال عند جوشوا فيشمان.

وهنـاك مـن يفـرّق بـين العنـوانين ولكـن فـي درجـة الاهتمـام ونقطـة الارتكـاز؛ فهمـا يشـتركان فـي كثيـر مـن المباحـث ويلتقيـان فـي نقـاط كثيـرة، ونقطـة التمـايز الكبـرى بينهمـا هـي فـي المرتكـز ودرجـة الاهتمـام والقاعـدة التـي ينطلـق منهـا الكاتـب، ويوليهـا اهتمامـــه: أهـــي اللغـــة؟ أم المجتمـــع؟ وإلـــى مهارتـــه فـــي تحليـــل البنيـــة اللغويـــة أو الاجتماعية.

ويمكـن أن نـوجز ذلـك فنقـول: إن علـم اللغـة الاجتمـاعي: هـو دراسـة اللغـة بـالنّظر إلـى المجتمع. وعلم الاجتماع اللغوي: هو دراسة المجتمع بالنظر إلى اللغة.

أو كمـا يُعرِّفـه آخـرون بأنـه: العلـم الـذي يسـعى لتطبيـق نمـاذج المتغيّـرات الاجتماعيـة والإطار العام لعلم الاجتماع في دراسة اللغة.[2]

ولكننـا يمكـن أن نوجـد فروقـا فـي الاهتمامـات، حيـث نجـد أن القضـايا التـي يُعنـى بهـا علـم الاجتمـاع اللغـوي هـي القضـايا المجتمعيـة الكبـرى، والتـي يمكـن تبيُّنهـا وكشـفها مـن خـلال اللغـة؛ مثـل التنميـة الاجتماعيـة والاقتصـادية وأثـر التعـدّد اللغـوي فيهـا،

(1) ينظر د.هدسون؛ **علم اللغة الاجتماعي**، ط2، ص:16-89-94.

(2) محمد حافظ دياب؛ **مقدمة في علم اجتماع اللغة**، د.ط ، ص:282.

ونظام الطّبقات في المجتمع والفوارق اللغوية، ودراسة اللغة واللهجات بين الطبقات الاجتماعية المختلفة في المجتمع، واللغة والنّظم الاجتماعية، وقضايا التّغير والضّبط الاجتماعي بالمجتمع وانعكاساته على اللغة، والصّراع اللغوي المصاحب لظاهرة الهجرة وغيرها، والآثار الاجتماعية المترتّبة على ذلك الصّراع اللغوي، وأهمية وضع السّياسات اللغوية والتّخطيط اللغوي وانعكاساته على المجتمع، وتحليل فاعلية اللغة وإبراز أهميّة دورها بوصفها عنصرا من عناصر ثقافة المجتمع، والتطبيقات العملية لعلم الاجتماع اللغوي. وما نلمحه من هذه الأبواب هو غلبة الطابع الاجتماعي لها على الناحية اللغوية[1].

بينما يتوجّه علم اللغة الاجتماعي إلى دراسة اللغة ذاتها من زاوية علاقتها بالمجتمع، وينظر في التغيرات التي تصيب بنية اللغة استجابة لوظائفها الاجتماعية المختلفة مع بيان هذه الوظائف وتحديدها.

فيعرض للتنوّعات اللغوية في المجتمع الواحد، وموقع هذه التنوّعات من اللغة النموذجية أو المشتركة، و مشكلات التّواصل اللغوي بين الأمم والجماعات التي تستخدم لغات مختلفة، والاختيار اللغوي، والثّنائية اللغوية، والمشكلات التي تسبّبها الثّنائية اللغوية، أو التعدّدية اللغوية في الوطن الواحد، ومشكلات تعامل الأفراد لغويّا طِبْقًا للظروف والحالة، وعلاقة اللغة بالثقافة[2].

([1]) ينظر عبد الفتاح عفيفي؛**علم الاجتماع اللغوي**، د.ط، القاهرة، 1995، دار الفكر العربي، ص:54.

([2]) كمال بشر؛ **علم اللغة الاجتماعي**، ط1، ص:74.

المطلب الرابع : مجالات اللسانيات الاجتماعية

كل نظرة للغة في إطار علاقتها بالمجتمع تنضوي تحت هذا العلم(اللسانيات الاجتماعية)، ولكن «لا يوجد لحد الآن تحديد موحد لموضوع علم اللغة الاجتماعي و لا وضوح تام حول وضعه»[1].

لكن بما أن اللسانيات الاجتماعية هي دراسة الظاهرة اللغوية في حياتها وتطورها وتأثرها بالعوامل الأخرى، وصلتها بالعوامل الاجتماعية؛ لذا وجب أن تبحث في «**1.** الهوية الاجتماعية للمتكلم في عملية التّواصل. **2.** الهوية الاجتماعية للسامع. **3.** المحيط الاجتماعي (السياق) المتحدث فيه. **4.** التحليلي التزامني والتعاقبي للهجات اللغوية. **5.** التقديرات المتباينة للسلوك اللغوي من خلال المتكلم. **6.** مدى الاختلاف اللغوي (التنوع) سواء أكان تعددا لهجيا أو لغويا أو لهجيا فرديا. **7.** إمكانات تطبيق علم اللغة الاجتماعي بالنظر إلى تشريح المجتمع وتاريخ اللغة والسياسة اللغوية».[2]

وليس بمقدور علم اللغة الاجتماعي منفردا أن يقوم بكل هذه الأعباء ويصل لحلول جذرية لهذه المشكلات « لكن علم اللغة الاجتماعي يتحمّل جانبا كبيرا منها، ولذلك فهو يتماسّ مع كثير من قضايا العلوم الأخرى وخصوصا علم اجتماع اللغة وعلم النّفس الاجتماعي الخاص باللغة، وعلم اللغة الأنثربولوجي و الإثنولوجي، كما تتداخل مساحة معالجاته مع بعض العلوم الأخرى؛ كتحليل الخطاب والتّداولية وعلم اللغة النصّي. وهذا أمر طبيعي في قضية تداخل العلوم وتمازج الاختصاصات»[3].

([1]) جرهارد هلبش؛ **تطور علم اللغة منذ 1970**، ط1، ص:360.

([2]) المرجع نفسه، ص:358.

([3]) د.هدسون؛ **علم اللغة الاجتماعي**، ط1، ص:15.

المطلب الخامس: أهمية اللسانيات الاجتماعية

الكلام سلوك اجتماعي، ودراسته دون الرجوع إلى المجتمع الذي يتحدّث به يستلزم استبعاداً لاحتمالات وجود تفسيرات اجتماعية للأبنية والصّيغ المستخدمة في الكلام؛ لأن اللغة أقرب الأنشطة فاعلية حين نريد استقصاء ملامح مجتمع حضاري معين، أو نقف على مدى تكوُّن تقاليده وأعرافه، وتشكّل ذوقه الجمالي، وفعله الحضاري في حركة الإنسان على الأرض.

فاللسانيات الاجتماعية تمدّ التحليل اللغوي ببُعد يتجاوز المدى الذي بلغه علم اللسانيات العام من مسائل كثيرة، وأبرزها: السياق الذي تستعمل فيه اللغة، وكيف تتفاعل اللغة مع محيطها، والنّظر إلى العوامل الخارجية التي تؤثّر في استعمالنا للغة، وأبرزها التشكل الاجتماعي؛ كطبقة المتكلّمين، ومركزهم، وطبيعة الموقف الكلامي وغيرها[1].

ويمكن أن نُرجع أهميّة اللسانيات الاجتماعية بشكل عام إلى ما يلي:

1- أسباب علمية أكاديمية، بالنظرة العلمية للغة في التّدريس والتّخطيط اللغوي وإجراء البحوث، وحل مشاكل التعليم ونحوها.

2- الكشف عن العلاقات الاجتماعية بين الأفراد بالتوغل في طيّات اللغة وتحليل وظائفها الإنشائية والجمالية والتعبيرية وغيرها من الوظائف اللغوية.

3- بيان العوامل المكوّنة لكل مسار لغوي وكل فعل تواصلي كلامي، والوقوف على الفوارق اللغوية بين الطبقات الاجتماعية. وبيان خصائصها من خلال رصيدها اللغوي واتجاهاتها.

([1]) ينظر نهاد الموسى؛ **(الأعراف أو نحو اللسانيات الاجتماعية في العربية)**، الجامعة التونسية،1986، أشغال الملتقى الدولي الثالث في اللسانيات، سلسلة اللسانيات، عدد 6، المطبعة العصرية، ص:145.

4- تصنيف الأفراد بحسب ملكاتهم اللغوية وطبيعة قاموسهم اللغوي، والكشف عن مدى تأثر النظام اللغوي بالنظم الاجتماعية. وتصوير ووصف السّلوكيات الفردية إزاء اللغة، واستعمالاتها بحسب الأوساط الاجتماعية، والكشف عن مدى تأثّر النظام اللغوي بالنّظم الاجتماعية.

5- تقديم التفسيرات العلمية للنواحي الاجتماعية لعوامل تطوّر اللغة واختلافاتها، والعلاقات الاجتماعية في المجتمعات.

حل المشكلات اللغوية في المجتمعات النّامية خارجيا وداخليا.[1]

(1) ينظر هادي نهر؛ **علم اللغة الاجتماعي عند العرب**، ط1، العراق، 1988، الجامعة المستنصرية، ص:24-25.

الفصل الثاني

القضايا اللغوية في البيان و التبيين في ضوء اللسانيات الاجتماعية

مدخل: الجاحظ المولد والنشأة

1. الاتصال اللغوي(اللفظي وغير اللفظي)
2. التنوع اللغوي
3. الطبقات اللغوية
4. الصراع اللغوي
5. الازدواجية اللغوية
6. الثنائية اللغوية
7. الكفاية اللغوية

مدخل : الجاحظ المولد والنشأة

أولا: مولد الجاحظ

هو أبو عُثمان عُمرو بن بحر بن مَحْبُوب بن فَزارة اللَّيْثِي الْكِنَانِي الْبَصَرِي المعروف بالجَاحِظ (159 هـ-255 هـ) من كبار أئمّة الأدب في العصر العبّاسي، ولد في البصرة وتوفي فيها.

وإن كان هناك خلاف حول مولده إلاّ أن وفاته كانت « في المحرّم سنة خمس وخمسين ومائتين بالبصرة وقد نيّف على تسعين سنة» [1]

وجعل بعض المؤرخين ولادة الجاحظ 155هـ عند أبي الجوزي في مرآة الزمان و160هـ عند شفيق جبري، أما الزّركلي ففي سنة163 هـ في الأعلام.

نشأ الجاحظ فقيرا، وعُرف عنه خفّة الرّوح وميله إلى الهزْل والفكاهة، مما انعكس ذلك في كتاباته على اختلاف مواضيعها فهي لا تخلو من الهزْل والتهكّم.

طلب الجاحظ العلم في سنّ مبكّرة، فقرأ القرآن ومبادئ اللغة على شيوخ بلده، ولكن اليتم والفقر حال دون تفرّغه لذلك، فصار يبيع السّمك والخبز في النّهار، ويكتري دكاكين الورّاقين في الليل فكان يقرأ منها ما يستطيع قراءته.

ثانيا: نشأة الجاحظ

نشأ الجاحظ في البصرة وهي من أكبر حواضر العلم والأدب في ذلك الوقت، يجتمع في مسجدها طائفة من العلماء وأرباب الأدب والنحو واللغة فأخذ عنهم الكثير بفضل ذكائه المتوقّد والذي قال عنه ياقوت الحموي:«كان

[1] ابن خلكان؛ **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تح إحسان عباس، لبنان، دت، مج3، دار صادر بيروت، ص:474.

الجاحظ من الذّكاء وسرعة الخاطر والحفظ بحيث شاع ذكره وعلا قدره واستغنى عن الوصف»[1]()

ولمّا اجتمع له قدر وافر من العلم والأدب قصد بغداد واتصل فيها بالكبار من رجال الدين وعلماء اللغة، فسمع « من أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد الأنصاري وأخذ النحو من الأخفش أبي الحسن، انضمّ إلى المعتزلة، وأجاد مناهجهم وأحاط بمعارف عصره من عربية وأجنبية، وهو صاحب التّصانيف في كل فنّ»[2]

عاش الجاحظ في عصر كَثُر فيه التّمازج بين الثقافات ويُعتبر عصره بمثابة العصر الذّهبي للأمة العربية وهو عصر هارون الرّشيد والمأمون. كما عاصر الجاحظ اثنا عشر خليفة عبّاسيا هم: المهدي والهادي والرشيد والأمين والمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل والمنتصر والمستعين والمعتز والمهتدي بالله، وعاش القرن الذي كانت فيه الثقافة العربية في ذروة ازدهارها.

أما الثّقافات التي كانت شائعة في تلك الأيّام فهي ثلاث: **الثقافة العربية الخالصة** التي تعتمد على القرآن الكريم وما يتصل به من علوم الدّين كالتّفسير والفقه والكلام والتّصوّف، واعتمادها على الشّعر وما يحيط به من العلوم الأدبية كالنّحو واللغة وغيرها. ثم **الثقافة اليونانية**، وتليها **الثقافة الشرقية** التي نجدها عند الفرس والهنود والأمم السّامية. حيث كانت هذه الثقافات المختلفة تؤلف التراث العلمي في عصر الجاحظ والذي عاش مصورا ومؤرخا لتلك الثقافات الأجنبية المختلفة التي انتشرت في العالم العربي[3]

[1] الحموي أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله؛ **معجم الأدباء**، د.ط، 1980، دار الفكر للطباعة والنشر، ص:74.

[2] ابن خلكان؛ **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، مج3، ص: 473.

[3] حنا الفاخوري؛ **الجاحظ** سلسلة نوابغ الفكر العربي2، دط، بيروت، 2006، دار المعارف للطباعة والنشر، ص:13.

ثالثا: شيوخ الجاحظ

تتلمذ الجاحظ على يد عدة شيوخ وَرَوى عنهم في مختلف العلوم والمعارف، ومن أهمّ هؤلاء:

- **في ميدان علوم اللغة والأدب والشِّعر والرِّواية:** أبو عبيدة معمر بن المثنَّى والأصمعي وأبو زيد بن أوس الأنصاري ومحمد بن زياد بن الأعرابي وخلف الأحمر وأبو عمرو الشَّيباني وأبو الحسن الأخفش وعلي بن محمد المدائني وزيد بن كثوة التميمي.
- **في علوم الفقه والحديث:** أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم القاضي ويزيد بن هارون والسري بن عبدويه والحجَّاج بن محمد بن حماد بن سلمه و ثمامة بن الأشرس الذي لازمه الجاحظ في بغداد.
- **في الاعتزال وعلم الكلام:** أبو الهذيل العلاف والنظام ومويس بن عمران وضرار بن عمرو والكندي وبشر بن المعتمر الهلالي وثمامة بن أشرس النُّميري.[1]

كما كان متّصلا بالثقافات غير العربية كالفارسية واليونانية والهندية، عن طريق قراءة الأعمال المترجمة أو مناقشة المترجمين أنفسهم، كحنين بن إسحق وسلمويه. توجه إلى بغداد، وفيها تميّز وبرز، وتصدّر للتّدريس، وتولّى ديوان الرّسائل للخليفة المأمون.

لقد كان الجاحظ موسوعة معرفية متنقلة، و تعتبر كتبه دائرة معارف تنهل منها الأجيال السابقة واللاحقة، كتَب في شتّى المعارف والعلوم، كتَب في علم الكلام والأدب والسّياسة والتاريخ والأخلاق والنبات والحيوان والصّناعة والنّساء والسّلطان

[1] ينظر علي شلق؛ **الجاحظ**، ط1، لبنان، 2006، دار ومكتبة الهلال، ص:44 وما بعدها.

والجند والقضاة والولاة والمعلمين واللصوص والإمامة وغيرها من الموضوعات، وتعتبر كتب الجاحظ موسوعة معارف بحق، حَوَت علوم عصره و كانت صورة شاملة تُترجم أحوال البيئة في مختلف نزاعاتها وتشعّباتها وعاداتها وتقاليدها وأعراضها العبّاسية، لقد ترك آثارا فكرية وأدبية ودينية على جانب كبير من الأهميّة في تاريخ الفكر العربي، ولكنّها فُقدت ولم يبق منها إلا القليل.

ولأهمية أعماله كان "**ابن العميد**"[1] يقول:«إن الناس عيال عليه(الجاحظ) في البلاغة والفصاحة واللسان والعارضة».[2]

رابعا: آثار الجاحظ

- **كُتب في القرآن الكريم:** الاحتجاج لنظم القرآن،آي القرآن، مسائل القرآن.
- **كُتب في الأحكام:** رسائل في الميراث، في الشّارب والمشروب، ذم الزّنا.
- **كتب في الاعتزال:** فضيلة المعتزلة، أحدوثة العامل، في الفرق والآراء، الرد على أصحاب الإلهام والشّعوبية، الرد على المشبهة.
- **كتب في الأخلاق والمجتمع:** أخلاق الشطّار، تهذيب الأخلاق، كتاب الإخوان.
- **كتب في الاقتصاد:** حصين الأموال، النّواميس في حيل أهل الغش والتدليس.
- **كتب في النبات:** الزرع والنحل.
- **كتب في الحيوان** : الحيوان.
- **كتب في الأدب:** الأمل والمأمول، البخلاء، الأمثال.
- **كتب في البلاغة والإعجاز:** البيان والتبيين وهو أهم كتب الجاحظ، كتاب التربيع والتدوير، رسائل الجاحظ، سحر البيان.
- **كتب في الجغرافيا:** الأمصار وعجائب البلدان.

---

[1] **ابن العميد** هو الكاتب **محمد بن الحسين بن محمد أبو الفضل** بن أبي عبد الله المعروف بابن العميد و لد بفارس وتوفي بها سنة 970هـ و كان يلقب بالجاحظ الثاني لبراعته في الكتابة.

[2] محمد عبد المنعم خفاجي؛ **أبو عثمان الجاحظ**، ط1، القاهرة، د. ت، دار الطباعة المحمدية،ص:185.

- **كتب قصصية:** نوادر الحسن ، الملح والطرف.
- **كتب في السياسة:** الرد على العثمانية، السلطان وأخلاق أهله، الرسالة اليتيمة، التاج وأخلاق الملوك.
- **كتب في الإنسان والأجناس:** الصّرحاء والهجناء، العرب والعجم.
- **كتب في الجدل:** ذم العلوم ومدحها، الجدل والهزل، النبوات، المحاسن والأضداد.
- **كتب في المعارف العامة:** الأخبار، كتاب المعلمين، طبقات المغنيين، فضل العلم، كتاب الطفيليين.
- **كتب في** التاريخ: أديان العرب، الأصنام، جمهرة الملوك، القضاء والولاة.[1]

قيل أن الجاحظ أصيب في أخريات عمره بالفالج والنّقرس قاسى منه طويلا، إلى أن قضى عليه و قيل أيضا أنه في أحد الأيام انهالت عليه الكتب أثناء مطالعته فقضت عليه.

ولا عجب « أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة كتب هي : أدب الكاتب لابن قتيبة، كتاب الكامل للمبرد، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ، وكتاب الأمالي لأبي علي القالي، وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع منها.»[2]كما قال ابن خلدون، وما البيان و التبيين(المدونة التي نتناولها بالبحث) إلا ركن من أركانها.

خامسا:المُدوّنة (البيان والتبيين)

إن ما عَرض له الجاحظ من موضوعات في كتابه البيان والتبيين هو استنباط أصول البيان كما تحدّث فيها السّابقون، وهو(البيان) من الموضوعات الرئيسيّة التي سيْطرت على الكتاب.

---

[1] ينظر محمد عبد المنعم خفاجي؛ **أبو عثمان الجاحظ**، ط1، ص:285.

[2] عبد الرحمن ابن خلدون؛ **المقدمة**، تح عبد السلام الشدادي، خزانة ابن خلدون بيت الفنون والعلوم والآداب، ج3، ص:248،249.

والكتاب من أواخر مؤلفات الجاحظ الكثيرة، وقد قصد به التّعريف بالبيان والبلاغة، والخطابة فذكر محاسنها ومساوئها وشرح فنونها وألوانها.

فبدأه بالاستعاذة من العيّ ثم تطرق إلى خصاصة اللّسان، وعاب التشدّق والتّقصير وانتقل بعد ذلك إلى الكشف عن الاختلاف في لغة العرب في استعمال الألفاظ، حتى إذا اقترب من الخطابة تحدّث عن عيوب اللسان مشيرا في ذلك إلى أشهر الخُطب والخُطباء سواء من اشتهر منهم بسلامة النّطق أو بعيب فيه ثم يشير في حديث آخر إلى البلاغة، فيبيّن علاقة البلاغة بالشّعر واللسان وفي الصّمت وفي الكلام المسجّع، مستشهدا بأدلّة من القرآن الكريم والحديث النّبوي الشريف، والشّعر العربي القديم ثم انتقل بعد ذلك للرّد على الشّعوبية مدافعا عن فصاحة العرب، كما تطرق إلى الكلام عن الزّهد والنّساك وعن كلامهم ومواعظهم كما أنّ الكتاب لم يخْلُ من نوادر الجاحظ التي شملت بعض الحمقى والمجانين.

المبحث الأول : التّواصل اللغوي(اللفظي وغير اللفظي)

لا حياة بشرية بلا لغة، ولا لغة من غير تواصل, فالتّواصل «ظاهرة اجتماعية ملازمة للوجود البشري منذ البدايات الأولى لهذا الوجود؛ حيث يصعب علينا تصوّر ظهور أي مجتمع إنساني عبر التاريخ دون وجود اتّصال بين أفراده يسهل عليهم استمرارية بقائهم و تطوّرهم».[1]

كما أن حياة اللغة مقترنة بعمليّة التّواصل والتّداول « فبواسطة اللغة سيطر الإنسان على عالم الطبيعة والأشياء بتسميته كل ما حوله لغويّا و بشكل ساهم في خيوط المعرفة البشرية الأولية، فمن خلال النّظام الرمزي (اللغة) استطاع الإنسان أن يضبط آليات تفكيره وبشكل فاعل ومؤثر وأن يشرك بني جنسه في عالمه الشخصي و معايشاته كإنسان مفكّر».[2]

وبما أنّ دراسة اللغة من الناحية الاجتماعية يجب أنْ تتمّ من خلال تنوّع وظائفها، ارتأيت أن أبدأ بعملية الاتّصال وذلك من خلال نصوص "البيان والتبيين" للجاحظ في ضوء اللسانيات الاجتماعية .

المطلب الأول: مفهوم الاتّصال

أولا :المفهوم اللغوي للاتّصال

«وَصَلْت الشيء وَصْلاً وَصِلةً، والوَصْلُ ضِدُّ الهِجْران, واتَّصَلَ الشيءُ بالشيء: لم ينقطع؛ ووَصَلَ الشيءُ إِلى الشيء وُصُولاً وتَوَصَّل إِليه: انتهى إِليه

(1) حلمي خضر ساري؛ **التواصل الاجتماعي** الأبعاد و المبادئ والمهارات، ط1، الأردن، 2014، كنوز المعرفة، ص:19.
(2) عبد الله الطويرقي؛ **علم الاتصال المعاصر**، ط2، الرياض، 1997، مكتبة العبيكان، ص:28.

وبَلَغه؛ ووَصَّله إليه وأَوْصَله: أَنهاهُ إليه وأَبْلَغَهُ إياه .»[1] فالاتّصال يفيد عدّة معان، أبرزها التّواصل والصّلة والتّرابط والإبلاغ.

ثانيا :المفهوم الاصطلاحي للاتّصال

يختلف تعريف الاتّصال بحسب التخصّص الذي ينتمي إليه, فالاتّصال اللغوي عند "**ريتشاردز**" هو الذي « يتم عندما يؤثر عقل ما (مرسل) من خلال بيئة معيّنة في عقل آخر (مستقبل)، وفي هذا العقل الآخر تحدث خبرة معيّنة تشبه الخبرة التي كانت في العقل الأول».[2]

ولعلّ أقرب التعريفات صلة بمجال علم اللغة الاجتماعي هو:«الاشتراك في تبادل الرّموز والمضامين والأدوار بين الأفراد من خلال وسيلة أو أكثر في سياق اجتماعي يوفّر فرص الفهم والتحريف والتأثير والتغذية الراجعة لهذه المضامين كعملية ديناميكية» [3]

ثالثا : أنواع الاتّصال

بما أن الاتّصال يتناول أي ظرف يتوافر فيه مشاركة عدد من الأفراد في أمر معيّن وتحقيق تآلف حول قضية معيّنة، فإنه يمكن تقسيم هذا الاتّصال طبقا للطّريقة المستخدمة أو اللغة إلى نوعين **اتّصال لفظي** و**اتّصال غير لفظي.**[4]

([1]) ابن منظور؛ **لسان العرب**، مادة وصل، دار صادر–بيروت.

([2]) رشدي أحمد طعيمة و محمود كامل الناقة؛ **تعلم اللغة اتصاليا** بين المناهج والاستراتيجيات، دط، المغرب، 2006، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ص:31 .

([3]) عبد الله الطويرقي؛ **علم الاتصال المعاصر**، ط2، ص:33.

4 ينظر محمود حسن إسماعيل؛ **مبادئ علم الاتصال**، ط1، مصر، 2003، الدار العالمية للنشر والتوزيع، ص:66 .

المطلب الثاني :التّواصل اللفظي وعلم اللغة الحديث

أولا: التّواصل اللفظي عند السوسيولوجيين

المجتمع واللغة والاتّصال، مصطلحات متلازمة لا تكاد تفترق، يستدعي كل واحد منها الآخر، وأي حدث اتّصالي فإنّما يتجلّى في إطار اجتماعي ويتم غالبا من خلال اللغة التي هي حجر الزاوية في الاتّصال، والوسيط بين أفراد المجتمع.

وحين كان ميدان اللغة من أكثر ميادين المعرفة تعدّدا في جوانبه وتفرّعا في جزئياته دخل إليه هذا المفهوم، وبالأخصّ في حقل اللّسانيات الاجتماعية، وذلك من خلال الموقف الاتّصالي الذي يعني موقفا اجتماعيا بين فرد وفرد أو بين فرد وجماعة. وكل موقف يستدعي كفاية اتّصالية تأخذ على عاتقها النّظرة الوظيفية؛ أي كيفية تحقيق الوظائف والمقاصد من خلال وضع العلامات اللغوية في سياقاتها الاتّصالية الاجتماعية المناسبة.

والمتكلّم العارف بلغته، حين يريد إقامة اتّصال لغوي حقيقي مع الآخرين، لا بدّ له من المُواءمة بين اللغة التي يعرفها والوظيفة والمقصد وسياق الاتّصال، ولا يكون اتّصال دون أن يشمله إطار اجتماعي ؛ فالمتعامل باللغة وفق نظامها اللّغوي دون التّعامل معها وفق وظيفتها الاجتماعية لن يصل إلى الكفاية الاتّصالية على الرّغم من بلوغه الكفاية اللغوية.[1]

ثانيا : التّواصل اللفظي عند البنيويين

أكّد "سوسير" على الدّور التّواصلي للغة ، حيث أشار إلى أنّ اللغة نسق من العلامات والإشارات هدفها التّواصل خاصّة أثناء اتّحاد الدّال مع المدلول بنيويا أو

([1]) ينظر محمد العبد؛ **النص والخطاب والاتصال**، د ط، القاهرة، 2014، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ص:66.

تقاطع الصورة السمعية مع المفهوم الذّهني، كما تتّفق البنيوية والتّداولية على عدِّ اللغة وسيلة للتّواصل.

كما أفاد "جاكبسون" في التّنظير لمفاهيم الاتصال أكثر ممّن سبقوه، فصاغ نظريّته بشكل متكامل، محاولا تلافي كل جوانب النّقص والقصور في نظريّات سابقيه. وما يربطنا بنموذج "جاكبسون" أكثر من غيره، أنه بنى نموذجه الاتصالي من خلال رؤية لسانيّة، انطلق من مسلّمة جوهرية وهي أن التّواصل هو الوظيفة الأساسية، وهذا الاتجاه نبّه على حقيقة مهمة حول عملية الاتّصال اللغوي ينبغي إدراكها، وهي أن المتكلّم حينما يوجه خطابه إلى المستمع فإنّه لا يريد فقط أن ينقل إليه بعض الحقائق، ولكنّه يريد أيضا أن ينقل إليه مشاعره. [1]

و بالرّغم من تعدّد مفاهيم الاتّصال إلا أنّ اللّسانيين اتّفقوا على أنّ عمليّة الاتّصال تقوم على خمسة عناصر أساسيّة وهي:

- المرسل – المستقبل – الرّسالة – رد فعل المستقبل – الوسيلة.[2]

المطلب الثالث: التّواصل اللفظي عند الجاحظ

تطرّق الجاحظ لعناصر الاتّصال الثلاثة؛ **المرسل والمستقبل** في قوله « **والغاية التي إليها يجرِي القائل والسّامع** » [البيان والتبيين: 76/1] وكذا **الرّسالة** في قوله : « **والبيان اسمٌ جامعٌ لكلِّ شيءٍ كشَفَ لك قِناعَ المعنى** » [البيان والتبيين: 76/1] وهو تصوّر واع بأبعاد العملية التّواصلية وجاءت آراؤه مفصّلة على النحو التالي:

([1]) ينظر يحيى أحمد؛(**الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة**)،الكويت، 1989، مجلة عالم الفكر، مجلد20،عدد3، ص:75

[2] ينظر محمود عبد الفتاح رضوان؛ **الاتصال اللفظي وغير اللفظي**، ط1، القاهرة، 2012، منشورات المجموعة العربية للتدريب والنشر، ص:15-16.

أولا: الرسالة

ويقصد بها المحتوى الذي يودّ المرسل نقله إلى الآخرين مستهدفا من ورائه التّأثير فيهم. ولكلّ رسالة مضمون، وهو الأفكار التي يراد التّعبير عنها، وشكل يتمثل بالرموز اللغوية التي يتم التعبير بها. وقد وردت أقوال الجاحظ في هذا المضمون في ثلاثة مراحل: **مرحلة تكوين النّص**, **الرسالة شكلا ومضمونا** و **مواءمة الرّسالة للسّياق.**

1)مرحلة تكوين النص :

« المعاني القائمة في صدور النّاس المتصوَّرَة في أذهانهم والمتخلِّجة في نفوسهم، والمتَّصِلة بخواطرهم، والحادثة عن فِكَرهم، مستورةٌ خفيّة، وبعيدةٌ وحشية، ومحجوبةٌ مكنونة، وموجودةٌ في معنًى معدومةٍ، لا يعرف الإنسانُ ضميرَ صاحِبه، ولا حاجة أخيه وخليطِه، ولا معنًى شريكِهِ والمعاونِ له على أموره، وعلى مالا يبلغه من حاجات نفسه إلاّ بغيره، وإنما يُحيي تلك المعانيَ ذكرُهم لها، وإخبارُهم عنها، واستعمالُهم إيّاها. وهذه الخصالُ هي التي تقرّبها من الفهم، وتُجَلّيها للعقْل، وتجعل الخفيَّ منها ظاهراً، والغائبَ شاهداً، والبعيدَ قريباً، وهي التي تلخِّص الملتبِس، وتحلُّ المنعقد، وتجعل المهمَل مقيَّداً، والمقيَّد مطلقاً، والمجهولَ معروفاً، والوحشيَّ مألوفاً، والغُفْل موسوماً، والموسومَ معلوماً » [البيان والتبيين:1/75].

و هذا ما يذهب إليه اللسانيون اليوم من أن للّغة البشرية مستويين تتألف منهما: أحدهما **عميق** مستتر في النفوس **و الآخر سطحي** و هو ما ظهر من منطوق أو مكتوب.

وقد بدأ الجاحظ بالبنية العميقة "**المعاني القائمة في صدور النّاس**" ثم تطرّق إلى البنية السّطحية "**يُحيي تلك المعانيَ ذكرُهم لها**" ثم إنّ بلوغها وعي المتلقي بنفس صورتها الذهنية لدى المتكلم إنما يعتمد أساسا على كفاية المتحدث اللغوية "**وعلى قَدر وُضوح الدَّلالة وصوابِ الإشارة، وحسن الاختصار، ودِقّةِ المَدْخَل، يكون إظهارُ المعنى**". فالكشف عن اللّطائف الخفيّة والمعاني المختزنة في ذهن المتحدث، هي (الدلالة) التي يقترن فيها الدّال(الصورة الخارجية) بالمدلول(الصورة العقلية) "**وتجعل الخفيَّ منها ظاهرا**".

2)الرسالة شكلا و مضمونا :

أكّد الجاحظ على مبدأ مناسبة الشّكل للمضمون في قوله:« **ومتى شاكل -أبقاك الله- ذلك اللفظُ معناه؛ وأعرب عن فَحواه، وكان لتلك الحال وفْقاً، ولذلك القدرِ لِفْقاً، وخَرَج من سماجة الاستكراه، وسلِم من فساد التكلف، كان قميناً بِحُسن الموقع، وبانتفاع المستمِع، وأجدَرَ أن يمنع جانِبَه من تناوُل الطَّاعنين، ويحميَ عِرضه من اعتراضِ العائبين، وألاَّ تزالَ القلوبُ به معمورةً، والصّدورُ مأهولة، ومتى كان اللفظ أيضاً كريماً في نفسه، متخيَّراً من جنسه، وكان سليماً من الفُضول، بريئاً من التعقيد، حُبِّب إلى النُّفوس، واتَّصل بالأذهان، والتحَمَ بالعقول، وهشَّت إليه الأسماع، وارتاحت له القلوب»** [البيان والتبيين:2/7-8]

فأيّ معنى يجب أن يكون بإزائه لفظ يختصّ به، ويكون ذلك اللّفظ مناسبا له.

3)مواءمة الرسالة للسّياق :

عندما يكون الخطاب للعامّة تُسهّل الألفاظ وتُيسّر المعاني، وعلى العكس حين يكون الخطاب للخاصّة فيقتضي أسلوبا بليغا مناسبا لمستواهم، في قوله: «**وكما لا ينبغي أن يكون اللفظُ عامّياً، وساقطاً سُوقيّاً، فكذلك لا ينبغي أن يكون غريباً**

وحشـيّاً؛ إلاّ أنْ يكـون المـتكلّم بـدويّاً أعرابيّـاً؛ فـإن الوحشـيَّ مـن الكـلام يفهمـه الوحشيُّ من الناس، كما يفهَمُ السُّوقيّ رطَانَة السُّوقيّ» [البيان والتبيين:144/1]

فلكـل مقـام مقـال , فللبـدوي ألفـاظ تناسـبه وإن كانـت ألفاظـه غريبـة وحشـيّة، كمـا لرجل الشّارع والسّوق ألفاظ تناسب مستواهم.

ثانيا : المرسل

وهـو مصـدر الرّسـالة وأهـم عنصـر ترتكـز عليـه حركيّـة العمليّـة الاتّصـالية، إنّـه الطـرف الأوّل فـي عمليّـة الاتّصـال، وهـو مُنشـئ الـنّص ومُخرجـه للوجـود، والـذي يحمِّـل الـنّص رؤيتـه وأفكـاره للتّـأثير فـي الآخـرين. وفـي إبـراز دور المرسـل وأهميّتـه يقـول الجـاحظ: **«والمفهـمُ لـك والمـتفهِّم عنـك شـريكان فـي الفضـل، إلاّ أنّ المفهِـم أفضـل مـن المـتفهِّم وكـذلك المعلِّـم والمـتعلِّم، هكـذا ظـاهرُ هـذه القضـية، وجمهـور هـذه الحكومـة، إلا في الخاصّ الذي لا يُذكَر، والقليلِ الذي لا يُشهر»** [البيان والتبيين:12/1]

ويقـول فـي موضـع آخـر:**«وقـال بعـض الأوائـل: إنّمـا النـاسُ أحاديـثُ، فـإن اسـتطعتَ أن تكـون أحسـنَهم حـديثاً فافعَـل»** [البيـان و التبـين 75/2] حيـث يكتسـب الـنّص قوّتـه وبلاغته من شخصيّة قائله. وبه تتعلّق وظيفة اللغة التّعبيرية.

ثالثا : المُستقبل

ويقصـد بـه الجهـة التـي تنتقـل إليهـا الرّسـالة وقـد تكـون فـردا أو مجموعـة أفـراد وهـي التـي تتـولىّ فـكّ رمـوز الرّسـالة وتفسـيرها متّخـذة بعـد ذلـك الموقـف المناسـب إزاءهـا. وأيّمـا رسـالة لا تضـع المُسـتمع (المُسـتقبل) رهـن عناياتهـا وموضـع اهتمامهـا، فهـي رسـالة فاقـدة لأهـم مقوّمـات الاتّصـال الفعّـال والتـأثير النّافـذ, لأن "**السّـامع شـريكُ القائـل**" كما قال الجاحظ.

وقد وردت مواضع كثيرة تَوَجَّهَ فيها الجاحظ إلى المستمع، في وجوب مراعاته، والعناية بحاجته، والسّعي للتأثير فيه.

كما في قوله:« **والبيان اسمٌ جامعٌ لكلِّ شيءٍ كشَفَ لك قِناعَ المعنى، وهتكَ الحِجَاب دونَ الضمير، حتّى يُفْضِيَ السّامعُ إلى حقيقته، ويَهجم على محصولِهِ كائناً ما كان ذلك البيانُ، ومن أيِّ جنسٍ كان الدّليل؛ لأنّ مَدَارَ الأمرِ والغايةَ التي إليها يجرِي القائل والسّامع، إنَّما هو الفَهْمُ والإفهام؛ فبأيِّ شيءٍ بلغْتَ الإفهامَ وأوضَحْتَ عن المعنى، فذلك هو البيانُ في ذلك الموضع** »[البيان والتبيين: 76/1]

وهذا ما يتّفق مع نظريّة التّلقي التي تهتم بالمُخَاطَب في تحليلها للنّص، والكشف عن مدى تأثّره بالنّص وتأثيره فيه.

رابعا : رد فعل المستقبل(التغذية الراجعة)

وهي الرّسالة الرّاجعة التي يتلقّاها المصدر من المستقبل، وأي عمليّة اتّصال بشريّة دون تغذية راجعة تُعَدّ عمليّة ناقصة مبتورة، ذلك أن كلّ رسالة تهدف إلى إحداث تغيير ما، ويكون لها نوع من التّأثير. فليس هناك مرسل بلا هدف. ويعتمد ذلك على دقّة الرّسالة وضبطها وإتقان فعاليّتها وانتقالها. و المتمثّلة بحسن الإصغاء وإقبال المستمع ومشاركة المستمع المتكلّم بموضوع الحديث. وقد أدرك الجاحظ أن عمليّة الإرسال تظلّ عديمة الجدوى أو محدودة الجدوى إذا كان المُرسِل يمارس إرساله الرّسائل بمعزل عن ردود فعل الآخرين. وقد نبّه لذلك في مواضع عديدة من قوله: «**لا تُقبِلْ بحديثك على مَن لا يقبلُ عليه بوجهه**»[البيان والتبيين: 104/1] و«**مَن لم يَنْشط لحديثك فارفَعْ عنه مَؤونَة الاستماع منك**»[البيان والتبيين: 105/1].

كما نقل عن عبد الله بن مسعود قوله: «**حَدِّث النّاسَ ما حَدَجُوك بأبصارهم، وأذِنُوا لك بأسماعِهم، ولحظوك بأبصارهم، وإذا رأيت منهم فترةً فأمْسِكْ**» [البيان والتبيين: 104/1]

فالجاحظ يؤكّد على الوظيفة التّفاعلية للغة، ويُلزم المتكلّمَ حتى يواصل كلامه، ويُرسل رسائله التي تعتمد على ردّ الفعل الذي يتلقّاه من مستمعه من خلال نظرة العين وإرهاف السّمع.

خامسا : الوسيلة(الشفرة)

ويمكننا النّظر أيضا إلى النّصوص التي تفاصح فيها صاحبها بما لا يتناسب مع حال مستمعيه في ضوء نظريّة الاتّصال أنّها من قبيل عوامل **تشويش على الوسيلة أو الشفرة**. و أيّما عامل يشوّه من شفرة الرسالة ويقلّل من تأثيرها داخل في هذا الباب. ومن نماذجها الموقف الذي حكاه عن أبي علقمة:« **قال أبو علقمة النحوي: يا آسي، إنّي رجَعتُ إلى المنزل وأنا سَنِقٌ لَقِسٌ، فأُتِيتُ بشِنْشنةٍ من لِوَيَّةٍ ولكيك، وقِطَع أَقْرنَ قد غَدَرْنَ هناك من سَمْن، ورُقَاقٍ شِرشِصان، وسَقيط عُطْعُط ، ثم تناولت عليها كأساً، قال له الطبيب: خُذْ خَرْفَقاً وَسَفْلَقاً وجَرْفَقاً ، قال: ويْلَكَ أيُّ شيء؟ قال: وأيّ شيءٍ ما قلت؟**» [البيان و التبيين:270/2]

فهذه اللغة المتقعّرة المغرقة في الكلمات الغريبة المبهمة لدى المخاطب شوّشت على ذهن المتلقّي وأدّت وظيفة عكسيّة، ولم تُوصل المعنى كما أراد المتحدث.

المطلب الرابع :التّواصل غير اللفظي

إضافة إلى الكلام والألفاظ التي تقوم بدور الاتّصال اللّفظي بين النّاس، وتعكس صورة و شخصيّة المتحدّث، وتُوصِل الكثير من المضامين التي يرغب صاحبها في

إيصالها، فهناك اتّصال غير لفظي يجعل من أعضاء الجسد تؤدّي وظيفة مساندة للألفاظ أو مستقلّة عنها في نقل المعاني وإرسال الرسائل.

فـ«الحقيقة الأساسيّة في الاتّصال توحي بأنّ الكلمات الملفوظة والعبارات اللغوية ليست كل شئ في هذا الاتّصال في الواقع يتّصل البشر بعضهم ببعض في أحيان كثيرة بدون كلمات منطوقة أو مكتوبة وذلك بواسطة الإيماءات و تعابير الوجه والمظهر العام». [1]

فالاتّصال غير اللّفظي أو **لغة الجسد** كما يُسمى في مباحث علم اللغة الاجتماعي تنقسم بهذا إلى ثلاث أقسام : تعابير الوجه والإيماءات والمظهر العام.

أولا – تعابير الوجه: تعد من أهم تعبيرات الجسد فـ « وجوهُنا تُخبر الكثير عمّا يختلج في دواخلنا ككائنات تحمل في أعماقها الكثير من المشاعر والانفعالات»[2]. ومن أهم تعبيرات الوجه، لغة العيون والابتسامة والخدّ والفم والحاجبين والوجنتين والجبين ففيها المجال الواسع للقيام بلغة الإشارة. فكلها يمكن أن تؤدّي وظائف متعدّدة ومعاني مختلفة؛ كالفرح والانبساط أو الضّجر والشّعور بالسّأم و الملل أو التّعب من المتحدّث، أو القلق بشأن ما يسمعه، أو التلهّف للحديث، أو قبول ما يقال أو رفضه، والتّصديق أو عدمه وغير ذلك.

ثانيا – الإيماءات: المظاهر الخارجيّة والإيماءات الجسديّة وحركات الأيدي والأعين ودرجة الخفوت والجهر في الصّوت جميعها تقوم بأدوار مساندة في تفسيرنا و فهمنا لكلمات وعبارات كل منّا في الموقف الاتّصالي فمن«الطبيعي لنا استخدام

(1) عبد الله الطويرقي؛ **علم الاتصال المعاصر**، ط2، ص:79.

(2) المرجع نفسه، ص:85.

أجسادنا و أيدينا أو بعض أجزائها في التعبير عن مكنونات ذواتنا ، ومن غير الطبيعي أن لا يحدث ذلك»[1]

ثالثا –المظهر العام: وهو ما يسمّى بالوضع أو الوقفة الجسديّة أو الحالة النفسية المعكوسة من خلال وضعيّة الجسد، فانتصاب الجسد قد يدلّ على الزّهو والاعتزاز بالذّات، وإرخاء الكتفين يدل على الانسحاب ونحوها فالباحث "ديوتش" يعتقد أن كل إنسان لديه سمات وضعية معينة لجسده لا يأنف الرّجوع إليها كلّما حاول الابتعاد.[2]

المطلب الخامس :الجاحظ واللغة غير اللفظية

يُعد الجاحظ أوّل من لفت الأنظار إلى هذا النّوع من البيان, وحدَّ حدوده, و فصّل أنواعه , وقال فيه ما لم يُسبق إليه. حيث يقول :« **زعمت الأوائل أن الإنسان إنما قيل له: العالم الصّغير سليل العالم الكبير؛ لأنه يصور بيده كل صورة , ويحكي بفمه كل حكاية**» [البيان و التبيين: 70/1]

فتصوير المعاني باليد فطرة فطر الله الناس عليها, عند إرادة التعبير عما في النفس, ولا يمكن أن تكون الفطرة عجزا, بل هي عون للفظ, وموافقة له.

وفي قوله: « **قد قلنا في الدَّلالة باللفظ، فأمّا الإشارة فباليد، وبالرأس، وبالعين والحاجب والمَنْكِب، إذا تباعَدَ الشخصان، وبالثَّوب وبالسَّيف، وقد يتهدَّد رافعُ السَّيف والسَّوط، فيكون ذلك زاجراً، ومانعاً رادعاً، ويكون وعيداً وتحذيراً، والإشارة واللّفظ شريكان، ونِعْم العونُ هي له، ونعم الترجمانُ هي عنه، وما أكْثَرَ ما تنوب عن اللّفْظِ، وما تُغني عن الخطِّ** »[البيان والتبيين: 1/77–78]

([1]) عبد الله الطويرقي؛ **علم الاتصال المعاصر**، ط2، ص:85.

([2]) ينظر المرجع نفسه، ص:86.

ففي هذا النص يمكننا وضع أيدينا على جملة من الحقائق التي ذكرها الجاحظ:

الأولـــى: أن أعضـاء الحركـة الجسـميّة مـن الجـوارح هـي اليـد والـرّأس والعـين والحاجـب والمنكـب، و مـن غيـر الجـوارح كـالثّوب والسّـيف. ممّـا يعنـي أنَّ لغـة الجسـد لا تقتصر على الجوارح، بل تشمل أجزاء أخرى مصاحبة لجسد الإنسان.

الثانيـة: كمـا للملفوظـات رمـوز مخصوصـة متعـارف عليهـا بـين المتحـادثين، فكـذا للجسـد رمـوز محـدّدة مفهومـة، يحـدّدها العـرف الاجتمـاعي ، كحركـة الإيجـاب أو النّفـي بهزّ الرّأس أفقيا أو عموديا.

الثالثـة: تشـارك اللفـظ والإشـارة وتعاونهمـا فـي إبـلاغ المعنـى كمـا فـي قـول الجـاحظ **« الإشـارة واللّفـظ شـريكان، ونِعْـم العـونُ هـي لـه، ونعـم الترجمـانُ هـي عنـه، ومـا أكَثـرَ ما تنوب عن اللّفْظِ، وما تُغني عن الخطِّ»** [البيان والتبيين:78/1]

المبحث الثاني : التنوّع اللغوي(اللهجات)

متـى انتشـرت اللغـة فـي منـاطق واسـعة مـن المعمـورة تحـت تـأثير عامـل أو عـدّة عوامـل، وتكلّـم بهـا جمـع كثيـر، اسـتحال علـيهم الاحتفـاظ بصـورتها الأولـى أمـداً طـويلاً، فـلا تلبـث أن تتفـرّع إلـى لهجـات تَفـرُّع الجماعـات عـن المجموعـة الأم، واخـتلاف مناطق إقامتهم.

وحتـى أصـحاب كـل منطقـة سـكّانية تتنـوّع لهجـاتهم بحسـب مِهـنهم وثقافـاتهم ومسـتوياتهم المعيشـيّة وأنشـطتهم الحياتيّـة، فتتـأثّر اللغـة بهـذه المجتمعـات الضـيّقة

وتتشعب إلى أنواع وأشكال؛ وهي فائقة الحصر والعدّ، يمكن إعادة تقسيمها حتى نصل إلى لهجة الفرد، التي تعد نواة أصغر لهجة [1].

وعلى هذا الأساس يمكننا أن نقول أنّ« كل مدينة أو بلدة أو قرية لها لهجتها الخاصة...ولو ذهبنا بالتحليل أبعد من ذلك لأمكننا أنْ نقول إنّ كل شخص على حدة له خصائصه النطقيّة المختلفة التي تميّزه عن غيره حتى من بين أعضاء أسرته القريبين.» [2] كما تأخذ التنوّعات اللغوية أبعادا متعدّدة، أهمّها البعد الجغرافي، والبعد الاجتماعي.

فالتنوّعات الجغرافية أو الإقليميّة تستند إلى التّوزيع الجغرافي، والتنوّعات الكلاميّة غير الجغرافية تسير وفقاً لتنوّعات البُنى الاجتماعية والثّقافية، وذلك مبدأ ومنطلق من منطلقات النّظرة اللغوية الاجتماعية.

المطلب الأول : ماهية التنوّع اللغوي

يمكن أن نعرّف نوعية ما على أنّها «مكوّنة من الوحدات اللغوية التي تستخدمها أسرة أو قرية بعينها وبالتّالي فإن النّوعية قد تكون أصغر حجما من لغة ما أو حتى لهجة بعينها». [3]

و قد تكون النوعيّة شيئا أكبر من اللغة أو أقل من اللهجة، فنسمي اللغة برمّتها نوعا لغويا، ونسمي مجموعة الاستعمالات التي ترتبط بها **نوعا لغويا** أو **تنوعات لغويّة**. وذلك وفقا لمقاييس جغرافية، أو اجتماعية أو ثقافية؛ كالعمر والجنس والمهنة والمستوى الاقتصادي وغيرها، استنادا إلى ارتباطها بعوامل خارجية أو داخلية.

([1]) ينظر د. هدسون؛ **علم اللغة الاجتماعي**، ط2، ص:44.

([2]) ماريوباي؛ **أسس علم اللغة**، تر أحمد مختار عمر، ط8، القاهرة، 1998، دار عالم الكتب، ص:69.

([3]) د. هدسون؛ **علم اللغة الاجتماعي**، ط2، ص:43.

والمهم في مثل هذه النّوعيات أنها تُعرَّف النوعية اللغوية بالنظر إلى مجموعة المواد اللغوية كالأصوات والألفاظ والسّمات النحوية،«وتوزّع تلك المواد اللغوية بشكل متماثل»[1] و« وشاملاً كل المستويات اللغوية والصوتية والنحوية والدلالية».[2]

وعلى ذلك فاللهجات بصورتيها الجغرافية والاجتماعية «ضروب من التنوّع اللغوي العاكس لأنماط الحياة زمانا ومكانا وحرفة وصنعة وثقافة ومناهج سلوك في المجتمع المعين»[3]. فيكون التنوّع اللغوي بهذا المفهوم يمثل جانبا مهمّا من جوانب العمل في اللسانيات الاجتماعيّة.

لا يمكننا تصنيف النوعيّات اللغويّة إلى أنماط أساسيّة إلّا بالاستناد إلى معايير معيّنة. فالدّارسون من علماء اللّهجات وعلم اللغة الاجتماعي يمكنهم الاسترشاد بثلاثة معايير أساسيّة متعاونة في مسألة التنوّع اللغوي؛ وهي **المعيار البنيوي، والمعيار الجغرافي، والمعيار الاجتماعي.**

- **المعيار البنيوي** هو أن يتجه الدّارس نحو الكشف عن بنيات هذه التنوّعات من النّواحي الصّوتية والصّرفية والنّحوية، وغيرها من الخواص اللغوية لكل نوعيّة حتى يصل إلى الحدود الفارقة بين هذه التنوّعات.
- **المعيار الجغرافي،** وهو الأساسي في نظر علماء اللهجات، المعتمد على أسس جغرافية، وينتج عنه الأطالس اللغوية التي يسجّلون عليها توزيع الظّواهر اللغوية في البيئة المعيّنة.
- **المعيار الاجتماعي،** معاونا ومساعدا للمعيارين السّابقين، ويعتمد العمل فيه على الوظائف الاجتماعيّة للتنوعات المختلفة، وهذه الوظائف

([1]) ينظر د. هدسون؛ **علم اللغة الاجتماعي**، ط2، ص33.

([2]) المرجع نفسه، ص42.

([3]) ينظر كمال بشر ؛**علم اللغة الاجتماعي** مدخل، ط3، القاهرة، 1997، دار غريب للطباعة و النشر والتوزيع، ص:88.

الاجتماعية مرتبطة بشخصية المتحدث والمخاطب، وبدورهما أو وظيفتهما أو حرفتهما؛ فهناك مثلا **كلام الرجال وكلام النساء ولغة الأطفال ولغة الكبار ولغة العلم والفن.**

ومن خلال هذه المعايير تتولد لدينا تصنيفات رئيسية كُبرى، مثل: **اللغة والعمر، اللغة والجنس، اللغة والمهنة، اللغة والثقافة** ونحو ذلك.

كما أنّه من الصّعب تحديد الحد الأدنى الذي تتميّز به اللهجات، وإنما يمكن القول إنه متى برزت صفات خاصّة، واتّضحت للسّامعين، وظهر اختلافها عن صفات البيئات الأخرى للغة الواحدة، أمكن القول أنّ هناك لهجة قد نشأت وتميّزت.

المطلب الثاني :الجاحظ والتنوّع اللغوي (اللهجات)

اللهجاتُ موضوع سبق إليه علماءُ النّحو واللغة واهتمّوا به وعالجوا مسائله، في أبحاث مطوّلة لهم في كتب المعاجم والنّحو واللغة والقراءات وغيرها، تحت مسمىّ (اللغات) أو لغات العرب. وكانوا يكتفون بالوصف المجرد غالبا. وأما الجاحظ فرغم كون مثل هذه الموضوعات ليست من صميم اهتمامه إلا أنّنا لم نعدم لفتات سريعة وإشارات متناثرة في كتابه "البيان والتبيين" وسنحاول تسليط الضّوء عليها .

و نجد ذلك يأتي من وجهين غالبا: الصّوتي والمفرداتي فأمّا الأصوات فتختلف في طريقة النطق والأداء بين لهجة وأخرى. والمفردات تتباين من حيث استخدامها ودلالتها. [1] ومن أبرز الصفات الصّوتية التي تميز اللهجات:

1- اختلاف المخرج في بعض الأصوات اللغوية.

2- اختلاف أعضاء النّطق مع بعض الأصوات.

3- اختلاف في مقياس بعض أصوات اللين.

[1]() ينظر إبراهيم أنيس؛ **في اللهجات العربية**، ط9، القاهرة،1995، مكتبة الأنجلو المصرية، ص:17 .

4- تباين في النّغمة الموسيقية للكلام.

5- اختلاف في قوانين التّفاعل بين الأصوات المتجاورة حين تتأثر ببعضها.[1]

وقد وردت نصوص للجاحظ كشفت أنّ الصّوت يعكس مكان التّنشئة، وإن كانت هذه النّصوص ليست من قبيل الاختلافات اللهجية، إنما هي من أثر اللّكنة الأعجمية:

«وقد يتكلَّم المِغْلاق الذي نشأ في سَواد الكوفة بالعربيَّة المعروفة ويكون لفظُه متخيّراً فاخراً ومعناه شريفاً كريماً ويَعلمُ مع ذلك السامعُ لكلامه ومَخارجِ حروفِه أنَّه نَبطيّ وكذلك إذا تكلم الخُراسانيُّ على هذه الصِّفة فإنَّك تعلم مع إعرابه وتخيُّر ألفاظِه في مَخرج كلامه أنّه خُراسانيٌّ»[البيان والتبيين: 69/1]

فالنّبطي أو الخراساني اللّذان نشآ وعاشا في بلاد العرب، مهما حاولا التكلم بطريقة العرب في الإعراب وتخيّر الألفاظ، تُظهر لكنتهما الصّوتية أصلهما وتكشف مسقط رأسيهما، ذلك أنّ الاختلافات لا يمكن تفسيرها بالرجوع إلى الاختلافات الجغرافية فحسب بل النطقية أيضا.

أمّا ما ذكره صراحة في الاختلافات الصوتية الأدائية المرتبطة باللهجات، فيبيّن الجاحظ أن **العرب الأمة الواحدة يتكلمون العربية باختلافٍ بيّنٍ في لهجاتهم.** يصنّفهم من حيث الاختلاف اللغوي على أساس جغرافي **في** هذا النّص:

« قال معاوية يوماً: مَن أفصَحُ الناس؟ فقال قائل: قوْم ارتفعوا عن لَخْلخانيَّةِ الفُراتِ، وتَيامَنُوا عن عَنْعَنةِ تميمٍ، وتَياسَرُوا عن كسكَسةِ بكرٍ، ليست لهم غَمغَمةُ قُضَاعَة ولا طُمْطُمانيَّة حِمْيَر، قال: مَن هم؟ قال: قُرَيْش » [البيان والتبيين:3/212-213]

فهذه اللغات أو اللهجات التي نطقت بها القبائل العربية كانت لها دلالات

(1) ينظر إبراهيم أنيس؛ **في اللهجات العربية**، ط9، ص:19.

اجتماعية وجغرافية, حيث أنّ «بعض التنوّعات تصبح أكثر وجاهة من بعض، لما اكتسبته لهجة معيّنة من الوجاهة الاجتماعية، لارتباطها بمستوى سياسي وثقافي مهم، وهي النّوعية التي تتطوّر فتصبح لغة فصحى، ومن لوازم الفصحى خلّوها من السِمات اللهجية كما يكشف ذلك حديث الأعرابي، الذي وضّح أن لهجة قريش (وهي اللهجة العُليا) خلتْ من الصفات التي تنفر على مسامع الآخرين، وقد تكون موضع سخريتهم، فبرئ الأعرابي من طمطمانية حمير وعجعجة قضاعة ونحوها. وهذا بُعدٌ اجتماعي رغم أن الناحية اللغوية (العلمية) تقرّر أنْ لا فضل لتنوّع على تنوّع. » [1]

هذا على صعيد الأصوات، أما في المفردات فقد أورد لنا عدداً من التنوّعات اللهجية، منها (ذو) الموصولة التي تختص بها قبيلة (طيئ) في شمال جزيرة العرب، حيث يروي الجاحظ عن الأصمعي أنه قال:

«قال أبو سليمان الفقعسي لأعرابيٍّ مِن طَيِّئ: أبامرأتك حَملٌ؟ قال: لا وذو بيتُه في السّماء، ما أدري! والله مالها ذَنَبٌ تشتال به، وما آتيها إلاّ وهي ضَبِعَة» [البيان والتبيين 2/81-82]

يذكر الجاحظ لنا صورة أخرى يختصّ بها (بنو تميم) في وسط الجزيرة في تسمية الغدر: بالكيسان، يقول: **« وأمَّا هذا الحيُّ من تميم فإنَّهم كانوا يُسمُّون الغَدْرَ في الجاهلية: كَيْسان، قال النمر بن تَوْلب يهجو تميماً:**

إذا ما دَعَوا كَيسانَ كان كُهولُهم * إلى الغَدر أدنَى من شَبَابِهم المُرْدِ»** [البيان و التبيين: 2/134]

(1) جورج يول ؛ **معرفة اللغة**، ترجمة محمود فراج عبد الحافظ، د.ط، الإسكندرية،1999، دار الوفاء، ص:231.

كما ينبهنا الجاحظ إلى تنوّع لهجي في القمح أو الحنطة، فيذكر أن «**الحنطةُ لغةٌ كوفيَّة والقمح لغة شاميّة** » [البيان والتبيين: 17/1]

ولعل أبرز اللهجات المحليّة التي ذكرها ذلك السِّجَال الذي حدث بين من يمثل منطقتين متنائيتين هما مكة والبصرة، أو ما يعرف عند علماء علم اللغة الاجتماعي بين جماعتين كلاميتين، حيث يرتبط أفراد كل واحدة منهما بلهجة مشتركة، وخصائص اجتماعية أخرى كالمسكن والثقافة وغيرها تميّزُهم عن الجماعات الأخرى: «**حدّثني أبو سعيدٍ عبدُ الكريم بن رَوح قال: قال أهل مكّةَ لمحمد بن المُناذِر الشاعر: ليست لكم معاشرَ أهل البصرة لغةٌ فصيحة، إنّما الفصاحة لنا أهلَ مكّة، فقال ابن المُناذر: أمّا ألفاظُنا فأحْكَى الألفاظِ للقرآن، وأكثرُها له موافقةً، فضَعُوا القرآنَ بعد هذا حيثُ شِئتم، أنتم تُسمُون القِدر (بُرْمَة) وتجمعون البُرمة على (بِرَامٍ)، ونحن نقول قِدر، ونجمعها على قُدور، وقال الله عز وجل: ﴿ وجِفَان كالجَوَابِي وقُدورٍ رَاسِياتٍ ﴾** سبأ:13، **وأنتم تسمُّون البيت إذا كان فوق البيت (عُلِّيَّةً)، وتجمعون هذا الاسم على (عَلالِيّ) ونحن نسمّيه غرفة ونجمعها على غُرفاتٍ وغرفٍ، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيّةٌ ﴾** الزمر: 20 **وقال: ﴿وَهُمْ في الغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾** سبأ:37، **وأنتم تسمُّون الطَّلَعَ (الكافورَ) و(الإغْريضَ)، ونحن نُسمّيه: الطَّلْع، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾** الشعراء: **148، فعَدّ عشر كلماتٍ لم أحفظ أنّا منها إلا هذا** » [البيان و التبيين: 18/1-19]

فأهل مكة يستخدمون المفردات: بُرمَة ويجمعونها على بِرَامٍ ،و عُلِّيَّة ويجمعونها على عَلالِيّ، والكافورَ أو الإغْريضَ (كما عند أهل مكة) وعند أهل البصرة : القِدر، و الغُرفة، والطَّلَعَ. وهذا التنوّع صورة عاكسة لاختلافٍ إقليمي.

المبحث الثالث :الطّبقات اللغوية

المستوى الاجتماعي مصطلح يُوظّف في معنى واسع يشمل الأوضاع الاقتصادية والسياسية والثقافية وكذا الأوضاع الاجتماعية ، وبما أن كل مجتمع ينتظم في إطاره طبقات أو فئات من النّاس تختلف اقتصاديا وثقافيا وسياسيّا، كما تختلف من حيث منزلتها في السُلّم الاجتماعي، وترجع هذه الاختلافات إلى أمور كثيرة؛ بعضها له علاقة بالثّروة، وبعضها بالمهنة أو الوظيفة أو المنصب، وبعضها بالتعليم والثقافة، وبعضها بالسن، وبعضها بالجِنْس، وبعضها بالدّين أو المذهب أو الطّائفة حيث« يتكلم بكل لهجة منها أصحاب منطقة خاصّة من مناطق هذه اللغة و لما كانت كل منطقة من هذه المناطق السكّانية منقسمة بدورها على مجموعات صغيرة بحسب مهنها أو ثقافاتها أو جنسها أو أنشطتها الحياتية المختلفة فإن اللغة تتأثر بهذه المجتمعات الضيّقة ». [1]

ولعلّ من أهم اختصاصات علم اللغة الاجتماعي البحث في الأشكال والأنواع اللغوية المختلفة من جانبين:

- **الأول:** تنوّع الأشكال اللغوية تبعا لاختلاف ثقافات الناس وفئاتهم.
- **الثاني:** تعدّد المستويات اللغوية التي تعكس طبقات الناس ومنازلهم الاجتماعية المتباينة.

و تعدّد المستويات اللغوية هو ما سنتطرّق إليه في هذا المبحث من مرتكز علاقة اللغة بالطّبقة الاجتماعية.

([1]) هادي نهر؛ **علم اللغة الاجتماعي**، ط1، مصر،1988، الجامعة المستنصرية، ص:166.

المطلب الأول : تكوّن الطبقات اللغوية

من المفروض أن اللغة بطبيعتها تتجاوب دائما وباطّراد مع الأوضاع الاجتماعية والثقافية في المجتمع الواحد، وتلبي حاجات كل فئة من هذه الفئات والطبقات، ومن ثم تبرز في المجتمع الواحد تنوّعات مميّزة، تحمل في طياتها ملامح وسمات لغويّة مختلفة حيث أنّ« لكل لغة مستويات مختلفة على أساس الطبقة الاجتماعية أو التعليمية، وناتج هذا ما يمكن أن يسمّى اللغات الطبقية. فأحياناً يستعمل المتعلمون في مجتمع ما طريقة كلامية خاصّة نجد طبقة أنصاف المتعلمين يستعملون طريقة أخرى. وقد أدّى هذا إلى ظهور المصطلح الإنجليزي لغة الجامعيين ولغة غير الجامعيين. وإلى جانب ذلك فهناك المهن والأعمال التي تستعمل نوعا معينا من المفردات والمصطلحات... إن الفروق الطبقية في اللغة تعدُّ أكثر فعالية في اللغات الثقافية الكبيرة الهامّة منها في اللغات الأقل متكلمين وثقافة»[1].

إنّ وجود نظام الطبقات في المجتمعات يؤدي إلى تقسيمات لغويّة فرعيّة داخل اللغة الأم، حيث تتميز كل طبقة عن الأخرى، فيكون هناك أسلوب في التعبير « للطبقة الغنية النبيلة، وآخر للطبقة الوسطى، وثالث لطبقة السوقة والعوام، وقد يكون هناك اتجاه رابع في التعبير خاص بطبقات المجرمين والخارجين عن القانون.... كما أن الفرق اللغوي بين الطبقات يتسع كلما كانت هذه الطبقات مقفلة منعزلة بعضها عن بعض تماما، هكذا كانت في العصور الوسطى الأوربية؛ لغة الأمراء ورجال الدين والسياسة بالنسبة للغة الفلاّحين، ثم لغة للقتلة وقُطّاع الطّرق....»[2].

([1]) ماريوباي؛ **أسس علم اللغة**، تر أحمد مختار عمر، ط8، ص: 70.

([2]) حسن ظاظا؛ **اللسان والإنسان**، مدخل إلى معرفة اللغة، ط2، بيروت،1990، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، ص:16.

المطلب الثاني : الجاحظ والطبقات اللغوية

تـردّد لفـظ الطبقـة والطّبقـات بمعنـى منـازل النّـاس، فـي **البيـان والتبيـين** فـي عـدّة مواضـع، وعلـى الـرّغم مـن أنّ الجـاحظ لـم يُفـرد فصـلا خاصّـا أو بحثـا مسـتقلا فـي كتابـه للمسـتويات اللغويـة، لكنـه أشـار إليهـا بوضـوح فـي مواضـع متنـاثرة مـن كتابـه، ورصـد الظـاهرة وحلّلهـا فـي نصـوص صـريحة، تكشـف عـن وعيـه المتقـدم بهـذا الجانـب، حيـث يقـول: «**وكـلامُ النّـاس فـي طبقـاتٍ كمـا أنّ النـاسَ أنفسَـهم فـي طبقـات، فمـن الكـلام الجَـزلُ والسَّـخيف، والملـيحُ والحسـن، والقبـيح والسَّـمجُ، والخفيـفُ والثقيـل وكلُّـه عربيّ، وبكُلٍّ قد تكلَّموا، وبكلٍّ قد تَمَادَحوا وتعايبوا**» [البيان والتبيين: 144/1]

فـذكر الجـاحظ أنّ هنـاك مسـتويات للمتحـدّثين، ومسـتويات للحـديث ذاتـه. فمسـتويات المتحـدثين تتنـوع وتختلـف بـاختلاف منـازلهم ومهـنهم، كمـا أنّ الحـديث يختلـف بـاختلاف العمـل الاتّصـالي وسـياقه وبـاختلاف مسـتويات المخـاطبين وجمهـور المسـتمعين وتوقيـت العمـل الاتّصـالي والخبـرات المشـتركة بـين المتحـدث والسّـامعين وهـدف العمـل الاتّصـالي؛ فتتولّـد صـور مختلفـة للكـلام؛ منهـا الجـاد والهـازل والرّسـمي وغير الرّسمي والجزل والخفيف ...الخ.

ويشـير فـي حديثـه عـن فصـاحة الألفـاظ: «**وكمـا لا ينبغـي أن يكـون اللفـظُ عامّيّـاً، وسـاقطاً سُـوقيّاً، فكـذلك لا ينبغـي أن يكـون غريبـاً وحشـيّاً؛ إلاّ أنْ يكـون المـتكلِّم بـدويّاً أعرابيّـاً؛ فـإن الوحشـيَّ مـن الكـلام يفهمـه الوحشـيُّ مـن النـاس، كمـا يفهَـمُ السُّوقيّ رِطَانَة السُّوقيّ**».[البيان و التبيين:144/1]

فهـو يُقـر مبـدءا فيمـا يتعلّـق باسـتخدام الألفـاظ الغريبـة أو السّـهلة عنـد الحـديث مـع الآخـرين، وهـو الموازنـة والتوسّـط عنـد الحـديث مـع عامّـة النّـاس، إلاّ أن يكـون المسـتمع

من طبقة معينة تستوجب حديثا يناسبه؛ كأن يكون بدويا فيُختار له الألفاظ الغريبة؛ لأنّ لكل فئة ألفاظا تناسبها.

وهذه أكبر دلالة تُقر بالبعد الاجتماعي وتُبرز الاختلاف اللغوي الطّبقي. وفي النص الموالي يقرّ هذا المبدأ بشكل أكثر وضوحا:«**ينبغي للمتكلّم أن يعرِفَ أقدارَ المعاني، ويوازنَ بينها وبين أقدار المستمعينَ وبين أقدار الحالات، فيجعلَ لكلِّ طبقةٍ من ذلك كلاماً، ولكلّ حالةٍ من ذلك مَقاماً، حتَّى يقسمَ أقدارَ الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدارَ المعاني على أقدار المقامات، وأقدارَ المستمعين على أقدار تلك الحالات**» [البيان والتبيين:1/138-139]

وفي سياق آخر يقول:«**لا يكلِّم سَيِّدُ الأمَة بكلام الأمَة ولا الملوكُ بكلام السُّوقة، ويكونَ في قُواه فضْلُ التصرُّف في كلِّ طبقة، ولا يدقِّق المعاني كلَّ التدقيق، ولا يُنقّحَ الألفاظ كل التنقيح، ولا يُصَفّيهَا كلَّ التّصفية، ولا يهذّبَها غاية التهذيب، ولا يفعلَ ذلك حتى يصادِفَ حكيماً، أو فيلسوفاً عليما**».[البيان والتبيين:1/92]

فالملوك وسادة القوم يناسبهم مستوى من الكلام، لا يناسب طبقة السّوقة والعوام، كما أن استعمال ألفاظ المتكلّمين في غير مقامها قد لا تكون مستساغة في الأحوال العامة، إلاّ أن يكون المستمع من هذه الفئة، والقاعدة العامّة في ذلك، كما ذكرها الجاحظ:«**ومدارُ الأمر على إفهام كلِّ قومٍ بمقدارِ طاقتهم، والحملِ عليهم على أَقدار منازلهم**»[البيان والتبيين:1/93]

فثمّة طبقيّة واضحة في المعنى والمقام، فالمعاني إمّا أنْ تكون للعامّة أو تكون معان للخاصّة، ومدار النّجاح في توزيعها التّوزيع الصّحيح وفق حال المخاطبين وطبقتهم.

المبحث الرابع :الصّراع اللغوي

المطلب الأول: مفهوم الصّراع اللغوي

أولا–مفهوم الصّراع لغة: الصَرْعُ: الطَّرْحُ بالأَرض، وخَصَّه في التهذيب بالإنسان صارَعَه فصَرَعَه يَصْرَعُه صَرْعاً وصِرْعاً، فهو مصروعٌ وصرِيعٌ، والجمع صَرْعَى؛ والمُصارَعةُ والصِّراعُ مُعالَجَتُهما أَيُّهُما يَصْرَعُ صاحِبَه.[1]

ثانيا– مفهوم الصّراع اصطلاحا: النّزاع المباشر والمقصود بين أفراد أو جماعات من أجل هدف واحد وتعتبر هزيمة الخصم شرطا ضروريا للوصول للهدف.

ثالثا– صراع اللغات: يحدث بين اللغات ما يحدث بين أفراد الكائنات الحيّة وجماعاتها من احتكاك وتنازع على البقاء والسّعي وراء الغلبة والسّيطرة. وتختلف نتائج هذا الصّراع باختلاف الأحوال، فتارة ترجّح كفة أحد المتنازعين فينتصر على الآخر ويحتل مناطقه، وأحيانا تتكافأ قواهما فيظل كلّ منهما محتفظا بعوامل بقائه وميزاته، فيعيشان جنبا إلى جنب في المكان نفسه من غير أنْ يمتزجا.[2]

ومن المتعارف عليه في قوانين اللغات أنّ اللغة المنتصرة لا تخرج سليمة من صراعها مع غيرها من اللغات، بل طول احتكاكها وصراعها بهذه اللغات يتركان في اللغة المنتصرة أثرا، و ذلك في نواح عدّة كالأصوات والأساليب والمفردات، **وخصوصا في النواحي التي تعوز(تفتقر إليها) اللغة الغالبة.** وأما ما تأخذه لغة

1 ابن منظور؛ **لسان العرب** ، دار صادر بيروت، مادة صرع.

([2]) علي عبد الواحد وافي؛ **علم اللغة**، ط 9، القاهرة، 2004، دار نهضة مصر، ص:229.

عن أخرى إنما يختلف باختلاف العلاقات التي تربط كل من المجموعتين النّاطقتين باللّغتين المتصارعة، وقوّة الاحتكاك المادي والثقافي، فكلّما قويت العلاقات ازداد تأثير اللغات بعضها ببعض. وانتقال اللغة وهجرتها واحتكاكها بغيرها يؤدي إلى تسرّب ألفاظ وأساليب كثيرة منها وإليها، كما أنّ صراعها مع غيرها يؤول إلى انتصارها أو انكسارها ومن ثم موتها واندثارها.

المطلب الثاني : أسباب الصّراع اللغوي

أولا- أسباب صراع اللغات: ينشأ الصّراع اللغوي لأسباب كثيرة، أهمها ما يلي:

1- أن يستقر ببلد ما جماعة أجنبية لا تنطق بلغة أهله.

2- أن تتجاور جماعتان مختلفتا اللغة، فيتاح بهذا التجاور احتكاك أفرادهما.

أما السّبب الأول فيحدث إثر فتح أو استعمار أو حرب أو هجرة أن ينزح إلى البلد عناصر أجنبية لا تنطق بلغة أهله، فتشتبك اللغتان في صراع ينتهي إلى إحدى نتيجتين: إما أنْ تنتصر لغة على الأخرى، فتصبح لغة جميع السكان، وأحيانا لا تقوى واحدة منهما على الأخرى فتعيشان معا جنبا إلى جنب.

وأما السّبب الثاني فحين يتجاور شعبان مختلفا اللغة يتيح ذلك فرصا كثيرة لاحتكاك لغتيهما، فتشتبكان في صراع ينتهي إلى واحدة من النتيجتين؛ انتصار إحداهما على الأخرى واحتلال مناطقها، أو بقائهما جنبا إلى جنب متعايشتين.[1]

وهناك أسباب ثانوية أخرى:

أ- اشتباك شعبين من شعوب عدة مختلفة لغاتها في حرب طويلة الأمد، وذلك أن طول الاحتكاك بين الشعوب المتحاربة ينقل إلى لغة كل شعب آثاراً من لغات الشعوب الأخرى.

([1]) ينظر على عبد الواحد وافي؛ **علم اللغة**، ط9، ص:240.

ب- توثيق العلاقات التجارية بين شعبين مختلفي اللغة، وذلك أن منتجات كل شعب تحمل معها أسماءها الأصلية، فلا تلبث أن تنتشر بين أفراد الشعب الآخر وتمتزج بمتن لغته.

ت- توثيق العلاقات الثقافية بين شعبين مختلفي اللغة، فإن ذلك ينقل إلى لغة كل منهما، وبخاصة لغة الكتابة، آثارا كثيرة من الأخرى. وهذه الآثار لا تقف عند حد المفردات، بل تتجاوزها أحيانا إلى القواعد والأساليب.[1]

ثانيا- أسباب تغلب لغة على أخرى: الصراع اللغوي غالبا ما يكون مرتبطا بتحرّكات الشّعوب، فعندما يلتقي أناس يتكلّمون لغة معيّنة بأناس يتكلّمون لغة أخرى، ينشأ عن ذلك إمّا صراع لغوي وإما أنْ تولد ثنائيّة لغويّة في ذلك المجتمع؛ فتتعايش اللغتان جنبا إلى جنب، كما هو الحال في كثير من مناطق العالم من مثل ولاية " **مونتريال**" في كندا حيث يتحدث أهلها الفرنسية والإنجليزية على السّواء. وغالبا ما يكون هناك حسم لغوي لواحدة على الأخرى خصوصا إذا كانت اللغتان المتصارعتان من فصيلة واحدة، ومن أبرز العوامل التي تحسم الصّراع لإحدى اللغتين:

1) **التوسع والارتقاء:** ويتمثل ذلك من خلال الوضع الحضاري والثقافي للأمّة، وهذا السّبب الأهم والأقوى تأثيرا في حسم الصّراع لصالح اللغة الأرقى؛ ذلك أن من لوازم الحضارة أن تصطحب الحضارة معها نتاجا لفظيا كبيرا للتعبير عن مختلف الأشياء والأفكار والابتكارات، وهو ما يُفسِّر الغلبة الكاسحة للغة للعربية على الآرامية في الشام والعراق وفلسطين، والقبطية في مصر، والكوشيّة في الشرق، والبربريّة في الشّمال الإفريقي.

(1) ينظر على عبد الواحد وافي؛ **علم اللغة**، ط9 ، ص:248 .

2) **التفـوق العـددي :** وهـو حـين يتسـاوى الشّـعبان فـي درجـة الحضـارة، فحينئـذٍ يـتحكم عامـل (الكـم) بـالتّفوق العـددي لحجـم الشّـعوب التـي تـتكلّم باللغـة الغالبـة، خصوصـاً حـين تكـون اللغتـان المتصـارعتان مـن فصـيلة واحـدة، فتكتسـح لغـة القـوم ذوي الشّعب الأكبر عدداً، وليس ثمة مرجح آخر للغلبة كالتفوق الحضاري.

3) **الفاعليـة والنفـوذ:** للمتكلّمـين باللغـة، فلـو كـان 20% مـن الأسـياد و80% مـن الأتبـاع، فـإن الأتبـاع هـم الـذين سـيتعلمون اللغـة الأخـرى. فـالجيوش العربيّـة التـي فتحـت أوربـا فـي بـدء القـرن السـابع المـيلادي كانـت تضـم بضـع مئـات مـن العـرب فقـط مقابـل الآلاف مـن البربـر والأقبـاط، ومـع ذلـك اعتمـدت اللغـة العربيـة فـي الـبلاد المحتلـة ولـم تعتمـد اللغـة القبطيـة ولا البربريـة. وكـان علـى المـوالي فـي الجيـوش العربيـة أن يتعلمـوا اللغـة العربيـة[1]، وقـد سـاق لنـا الجـاحظ فـي فتـرة مبكـرة عـن اللغـة الهجـين التـي تولّدت من هؤلاء المتعلمين.

كقول العُمّانيّ للرَّشيد، في قصيدته التي مدحَه فيها:

«مَن يَلْقَهُ مِن بطلٍ مُسْرَنْدِ * في زَغْفَةٍ مُحْكَمةٍ بالسَّرْدِ**

تجول بين رأسِه والكَرْدِ »[2] [البيان والتبيين:1/141-144]

4) **الهَيبـة:** وهـو عامـل عـاطفي، لـه أثـر فـي المحافظـة علـى اللغـة والبقـاء عليهـا. وهـذا العامـل يفسّـر صـمود العربيـة أمـام اللغـة التركيـة إبّـان وجـود الأتـراك العثمـانيين فـي البلـدان العربيـة، وكـذلك عجـز اللاتينيـة ثـم التركيـة مـن التغلـب علـى اليونانيـة التـي تمثّـل أعـرق الثقافـات البشـرية ويمكننـا أن نفسِّـر تمسّـك الفـرس بلغـتهم أمـام غـزو العربيـة فـي ضوء هذا العامل. [3]

([1]) ينظر ميشال زكريا؛ **الألسنية**(علم اللغة الحديث)، ط2، لبنان، 1985، المؤسسة الجامعية للطباعة والنشر، ص:170.

([2]) المُسْرندي: الذي يغلب ويعلو. والزّغْفة: الدرع الواسعة المحكمة. السّرد: نَسْج الدّروع. الكَرْد: أصل العنق.

([3]) ينظر ميشال زكريا؛ **الألسنية** (علم اللغة الحديث)، ط2، ص: 168-171.

وعندما تُهزم اللغة، فسينحسر نفوذها، ويتقلص عدد المتكلمين بها، وربّما تموت وتتلاشى وتُمحى من ذاكرة الأجيال، حين تتوفر لذلك أسباب سنعرفها في الفقرة الآتية.

ثالثا–أسباب موت اللغة: تموت اللغة إذا :

1. شاخت بسبب كثرة النّاطقين بها، وتوزّعهم وتشعّبهم وتباعد مواطنهم، ثم يكونون قد بنوا لهم حضارات لا يتصل بعضها ببعض إلا من بعيد، مما يؤدي إلى تولّد لهجات محلية منبثقة من اللغة الأم، ومع مرور الأجيال تندثر اللغة الأم من ذاكرة أبنائها.

2 – غُزيت من لغة أخرى غزوا مسلّحا، حيث يكون الغزاة أكثر عددا من أهل اللغة المغزوّة، كما هو الحال في غزو السّاميين القدماء للعراق حين تغلبت لغتهم على السّومرية، و أنشأوا لهم دولة و بنوا ممالك عرفت بمملكة البابليين والآشوريين. أو متساويين عددا لكن الغزاة أعلى في درجة الحضارة من الأمة التي أصيبت بالغزو، وإلا فإنّ الغزاة هم الذين سيفقدون لغتهم وتنتصر عليهم لغة المنهزمين، ولنا بما حدث في أوربا اللاتينية التي كانت شعوبها أكثر تقدما في الحضارة عندما هاجمتهم قبائل البربر أحسن مثال، حيث ترك البرابرة لغاتهم الأصلية، بل حتى أديانهم الوثنية واصطنعوا اللاتينية واعتنقوا المسيحية الكاثوليكية، كما اعتنق التّتار الدّين الإسلامي بعد غزوهم بغداد وتعلموا اللغة العربية. [1]

أما المتحضرون فإنهم يقتلون لغة الأمم المفتوحة ولو كانوا أقل عددا، بفرض لغتهم في العلم والثقافة والتّجارة ونحوها، كما سادت الإسبانية والبرتغالية في أوساط شعوب أمريكا اللاتينية، والإنجليزية في أمريكا الشمالية، والفرنسية في أنحاء كندا وغيرها.

(1) ينظر حسن ظاظا؛ **اللسان والإنسان** مدخل إلى معرفة اللغة، ط2، ص:118.

3 – كما تموت لضعفها وكثرة الدّخيل عليها، وذلك باستعمال ألفاظ من لغات أخرى تحتاج إليها اللغة فتتقبلها في بادي الأمر وتحسّ بالانتعاش والقوة والنّشاط ممّا يشجعها على تقبل ألفاظ أكثر، حتى تُجهد ثم تموت، كما ماتت السّريانية في بلاد الشّام أمام دخيل العربية المتزايد حتى وجدوا أنفسهم وقد فقدوا لغتهم نهائيا.

المطلب الثالث: الصّراع اللغوي عند الجاحظ

لم يكن العرب أمّة منطوية على نفسها، بل على العكس من ذلك فقد اتّصلوا بالأمم المجاورة، بحكم ظروفهم المعيشيّة عن طريق التّجارة أو الوفادة أو المجاورة أو عن طريق الغزو.« فاللغة اليونانية غربي الدولة الإسلامية، والفارسية في شرقيها، ظلّتا قرنا كاملا لسان الحكم والإدارة وحتى في المدن الناشئة في مواضع المعسكرات العربية؛ كالبصرة والكوفة، كان سيْل العناصر الإيرانية من القوة بحيث كانت اللغة الفارسية تحتل مكان التصدّر في القرن الأول. ففي البصرة كانت أسماء الأمكنة المنسوبة إلى أشخاص تُختم عادة بمقطع (آن) مثل : مهلبان، وأميتان (نسبة إلى بني أمية)، وجعفران (نسبة إلى أم جعفر)»[1]

ولم يختلف الأمر كثيرا في الكوفة، فقد قامت هذه المدينة في بقعة كانت تتلاقى فيها اللغات الآرامية، والفارسية ، والعربية من قديم.

« وكما حصل في البصرة، كان يرِد على الكوفة أيضا سيل من التجّار والصنّاع وغيرهم، سرعان ما كانوا مع أُسارى الحرب، كثيري العدد ذوي الأصل الفارسي، أغلبية السكان، فصارت لغة التفاهم السائدة هي الفارسية. وقد كشف الجاحظ النقاب عن مدى تأثير هذه اللغة في لغة السّادة العرب بما أورده من ألفاظ معرّبة في لهجة الكوفة بينهم»[2] حيث يقول:

---

[1]) يوهان فك؛ **العربية** دراسات في اللغة و اللهجات والأساليب، تر رمضان عبد التواب، د.ط، مصر، 1980، مكتبة الخانجي، ص:24-25.

([2]) المرجع نفسه، ص:28.

« أَلَّا تَرَى أَنَّ أَهْل اَلْمَدَينـة لَمَا نَزَل فِيهِم نَاس مِنْ الفُرْس فِي قَدِيم اَلدَّهْر علقوا بِأَلْفَاظ مِنْ أَلْفَاظهم، وَلِذَلِكَ يُسَمُّونَ اَلْبِطِّيخ(الخربز)، وَيُسَمُّونَ السّميط:(الرزدق) ، وَيُسَمُّونَ المَصوص:(المَزُور) ، وَيُسَمُّونَ اَلشَّطْرَنْج:(الأشترنج) إِلَى غَيْر ذَلِكَ مِنْ اَلْأَسْمَاء .وَكَذَلِكَ أَهلُ اَلْكُوفَة؛ فَإِنَّهُمْ يُسَمُّوْنَ اَلْمِسْحَاة:(بَال) وَبَال بِالْفَارِسِيَّة»[البيان والتبيين: 19/1]

فيحكي الجاحظ بوادر تأثّر العربيّة باللغة الفارسيّة منذ قديم الدّهر، يعني ممّا قبل الإسلام، و ذلك باستخدام كلمات فارسية رغم وجود مقابلات لها في العربية:

وهي (الخِرْبِزْ) بدل البطّيخ :(فاكهة)

و(الرَّزْدَقُ) بدل السّميط :(السّطر أو الصّف من النخل أو الأشجار)

و(المَزُور) بدل المَصُوص:(لحم ينقع في الخل ويطبخ)

و(الأشترنج) بدل الشّطرنج : (لعبة)

وعند أهل الكوفة: (بال) بدل المسحاة : (آلة لجرف التربة لها مقبض خشبي)

ثم إن الجاحظ يُبدى دهشته لهذا التّأثر الذي وصل إلى المدينة المنوّرة، مع أنّ المدينة بعيدة عن بلاد فارس، ولكنّه لا يستغرب ذلك في لغة أهل البصرة أو أهل الكوفة؛ لأنّ المناطق المتاخمة للأمم الأخرى تتأثّر لغاتها أكثر من غيرها من المناطق الضّاربة في البداوة والنائيّة عن التّخوم، لذلك يقول: «**وَلَوْ عَلِقَ ذَلِكَ لُغَة أَهْل اَلْبَصْرَة إِذْ نَزَلُوا بِأَدْنَى بِلَاد فَارِس وَأَقْصَى بِلَاد اَلْعَرَب كَانَ ذَلِكَ أَشْبَه، إِذْ كَانَ أَهْل اَلْكُوفَة قَدْ نَزَلُوا بِأَدْنَى بِلَاد اَلنَّبَط وَأَقْصَى بِلَاد اَلْعَرَب**»[البيان والتبيين 19/1]

فهو ينظر إلى مظهر التأثّر من خلال هذه الكلمات ويربطه بسببه المتمثّل بالمجاورة. ثم يقول: «**وَيُسَمِّى أهل الكُوفَةالحوك: الباذروج، و(الباذروج) بِالْفَارِسِيَّة، والحَوك كَلِمَة عَرَبِيَّة . وَأَهْل اَلْبَصْرَة إِذَا اِلْتَقَتْ أَرْبَع طُرُق يُسَمُّونَهَا: مُرَبَّعَة، وَيُسَمِّيهَا أَهْل اَلْكُوفَة اَلْجِهَار سَوكَ، وَ(الْجِهَار سَوك) بِالْفَارِسِيَّة. وَيُسَمُّونَ اَلسُّوق**

و السّويقة: "وازار"، و(الوازار) بِالْفَارِسِيَّةِ، وَيُسَمَّوْنَ اَلْقِثَّاء: خِيَارًا، وَ(الْخِيَار) بالفَارِسِيَّة. ويسمون اَلْمَجْذُوم يَذي و(يذي) بالفارسِيّة » [البيان والتبيين: 1/ 20].

فيذكر الجاحظ في هذه الفقرة كلمات فارسيّة تسلّلت إلى لسان أهل الكوفة عاشتْ جنباً إلى جنب مع كلمات عربية.

وهذه الظّواهر التي لحظها الجاحظ وسجّلها تندرج اليوم فيما يُعرف بالاقتراض أو الامتزاج اللغوي أو الدخيل والمعرّب، وكلها نتائج حتمية للصّراع اللغوي الذي صُنّف على أنه مصدر مهم وخطير في نمو اللغة، بأن تأخذ اللغة ألفاظاً من جاراتها.

المبحث الخامس: الازدواجية اللغوية

يستخدم المتحدّثون عادة أكثر من شكل لغوي في استعمالاتهم المختلفة للغة. وتمثل العربية بتنوّعاتها اللغوية مجالاً واسعاً في ذلك؛ فهناك اللغة الفصحى التي يمثل القرآنُ الكريم أرقى صورها ثم الحديث الشّريف[1] ثم الشّعر الجاهلي والإسلامي وغيرها من الآثار الأدبية في العصور الزاهرة للعرب والمسلمين.

وهناك أمشاج وأخلاط من الكلام واللّهجات المحليّة التي تشكل في مجموعها ما يُعرف بالعامية أو اللهجة الدّارجة. وهذا التّعايش المطّرد بين النّوعيتين العُليا والدنيا يصل بنا إلى وضع لغوي يُعرف بالازدواج اللغوي[2].

([1]) ينظر إبراهيم أنيس؛ **في اللهجات العربية**، ط9، القاهرة، 1995، مكتبة الأنجلو مصرية، ص:50.

([2]) ينظر كمال بشر؛ **علم اللغة الاجتماعي** مدخل، ط3، ص:176.

المطلب الأول : مفهوم الازدواجية اللغوية

أولا : مفهوم الازدواجية اللغوية

الازدواج اللغوي يعني أن يوجد نمطان أو شكلان من اللغة يسيران جنبا إلى جنب في المجتمع المعين، يتمثل الأول باللغة النّموذجية والثاني باللغة الدارجة أو المحكية، أو الرّسمية واللغة غير الرّسمية [1].

أُستخدم هذا المصطلح لأول مرة في الإنجليزية عن طريق "**شارلز فرجسون**" في عام **1959** حين كان يصف الموقف اللغوي في اليونان والعالم العربي وسويسرا المتحدثة بالألمانية وجزيرة هايتي ، ولاحظ أن المجتمع يستخدم شكلين لغويين، ولكل شكل وظائف محددة. وحتى نُعرّف الازدواجية اللغوية أكثر وجب أن نعرف ما المراد بالشكل اللغوي الأعلى والأدنى أو اللغة العُليا واللغة الدُنيا.

فاللغة العليا: هي نوع من اللغة يُعدّ نموذجا أعلى للاحتذاء ذا حظوة رسمية وأدبية عُليا، يكاد يخلو من الظواهر اللهجية والبيئية، وقواعده مستقرة ومنضبطة بقوانين وأحكام متفق عليها على المستوى العام، وهي الموظفة في التعليم والدوائر الرسمية والصّحافة والإعلام الرّسمي، كما أنها لغة الأدب الجيد والأعمال العلمية والفنية [2].

ومن المعروف عند الدارسين أنّ عربيتنا النّموذجية سلكت هذا الطريق، من خلال لغة قريش، لما كان لأهلها من مكانة سياسية واجتماعية، وما تميزت به من الاعتدال وخلوها من الظواهر الصوتية الآدائية الخاصة.

([1]) ينظر رالف فاسولد؛ **علم اللغة الاجتماعي**، دط، ص:57 .

([2]) ينظر كمال بشر؛ **علم اللغة الاجتماعي** مدخل، ط3، ص: 184.

أمـــا اللغـــة الـــدنيا أو الدراجـــة: فينعتهـا بعضـهم بالعاميّـة أو غيـر الرسـميّة أو المسـتوى الأدنـى مـن اللغـة، وتختلـف فـي بنيتهـا قلـيلا أو كثيـرا عـن بنيـة اللغـة النموذجيّـة، وبخاصـة فـي الأداء النطقـي، ولأهميـة هـذه الخاصـة النطقيّـة سـميت باللغـة المحكيـة، وتسـمى عاميـة لأنّهـا أسـلوب العـوام لا الخـواص مـن العلمـاء والمتعلمـين، وهي لغة حديث في الأغلب الأعم.[1]

ثانيا : مستويات التفريق بين لغتين

يمكننـا تمييـز اللغتـين العليـا والـدُنيا تحـت سـبعة عنـاوين ذكرهـا "**فاسـولد**"، وهـي : **الوظيفة، المقام، التراث الأدبي، الاكتساب، التقييس، القواعد** و**المعجم**.[2]

1) **الوظيفـة** : وهـي أهـم معيـار لازدواجيـة اللغـة وتعنـي التوزيـع الـوظيفي لكـل مـن اللهجتـين العليـا والـدّنيا، وأنّ هنـاك حـالات لا يمكـن أن يسـتخدم فيهـا إلا اللغـة العليـا والعكـس، ولا تتـداخل هـذه الحـالات إلا نـادرا؛ والوظـائف التـي تسـتدعي اللغـة العليـا هـي تلـك الرسـمية والمتكلفـة، كالمناسـبات الدينيـة والخطـب والمحاضـرات والأدب، بينمـا الـدنيا تكـون للاسـتخدام غيـر الرسـمي، فـي البيـت والشارع والأدب الشعبي[3].
2) **المقـام أو المكانـة:** حيـث إنّ اللغـة لهـا مكانـة تفتقـدها اللهجـة، والمكانـة تتمثـل فـي عـدة مظـاهر منهـا الكتابـة الرسـمية، وارتباطهـا بمسـتوى عـالٍ مـن الثقافـة. كما أنّ المتحدثين باللهجة العليا أرفع مقاما وأكثر منطقيّة.

---

(1) ينظر كمال بشر؛ **علم اللغة الاجتماعي** مدخل، ط3، ص: 186

(2) ينظر المرجع نفسه، ص:189.

(3) ينظر فيرجسون؛ **الازدواج اللغوي**، ترجمة عبد الرحمن بن محمد القعود، ط1، مكتبة لسان العرب، الرياض، 1998، ص200.

3) **التـــراث الأدبـــي:** هنـاك تـراث أدبـي كبيـر للهجـة العُليـا، وتُعـد الأعمـال الأدبيـة المعاصرة باللهجة العليا امتدادا لهذا التراث العظيم.

4) **الاكتســاب:** اللهجـة الـدنيا هـي المسـتخدمة عنـد التحـدث للأطفـال، وهـي التـي يتكلّمهـا الطّفـل أولا، فيـتم اكتسـابها بطريقـة طبيعيـة لاشـعورية. أمـا اللهجـة العليـا فغالبا ما تكون مضافة، تُتعلم لاحقا من خلال التعليم النّظامي.

5) التقيـــيس: الشّـكل الأعلـى قياسـي، لـه كتـب فـي المعـاجم والنحـو ومرشـدات النطـق، كمـا أن قواعـده وحروفـه الأبجديـة راسـخة، ومـن النّـادر وجـود ذلـك للهجة الدنيا.

6) **القواعـــد:** بـين الشّـكلين اللغـويين الأعلـى والأدنـى اخـتلاف بـيّن فـي قواعـد النحو، وقواعد اللهجة الدنيا أبسط من القواعد النحوية للهجة العليا.

7) **المعجـــم:** النوعيـة التـي تتضـمن أكبـر عـدد مـن الوحـدات اللغويـة هـي لغـة، بينمـا النوعيـة الصـغرى هـي اللهجـة، وهنـاك اشـتراك فـي المفـردات بـين الشـكلين، لكـن الكلمـات الفصـيحة كالمصـطلحات التقنيـة لا توجـد إلا فـي العليـا، وفـي المقابـل بعـض المعـاني الدراجـة كـالأدوات المنزليـة لا توجـد إلا فـي الـدّنيا. وفيمـا يتعلق بالمعجم هناك أزواج مفردات واحد باللهجة الدنيا ونظيره بالعليا [1].

المطلب الثاني:الازدواجية اللغوية عند الجاحظ

اللغـة المعياريّـة هـي التـي تخلـو مـن أي مظهـر لهجـي خـاص، وفـي ذلـك نقـل الجـاحظ عـن معاويـة حـين سـأل عـن أفصـح اللغـات: « **قـال معاويـة يومـاً: مَـن أفصَـحُ النـاس؟ فقـال قائـل: قـوْم ارتفعـوا عـن لَخْلخانيَّـةِ الفُـراتِ، وتَيـامَنُوا عـن عَنْعَنَـةِ تمـيمٍ**

(1) ينظر د. هدسون؛ **علم اللغة الاجتماعي**، ط2، ص199-216 .

وتَياسَرُوا عن كسكَسةِ بكرٍ، ليست لهم غَمغَمةُ قُضَاعَة ولا طُمْطُمانيَّة حِمْيَر. قال: مَن هم؟ قال: قُرَيْش » [البيان و التبيين:213/3]

يتحدّث الجاحظ عن أفصح القبائل فيحصرها في الحجاز وتحديدا في قبيلة قريش و يقدّم حججا في ذلك .

- **الأولى** : "**ارتفعوا عن لخلخانيّة الفرات** " و تتمثّل في اختصار بعض العبارات بقولهم (مشللة) عوضا عن (ما شاء الله).
- **الثانية** : " **ارتفعوا أو تيامنوا عن كشكشة تميم** " وهي لهجة كانت تعرض في ألسنة بني تميم، يقولون في خطاب المؤنث : "**ما الذي جاء بش؟**" عوضا عن "**ما الذي جاء بك ؟**" أي نطق الكاف شينا .
- **الثالثة** : " **تياسروا عن كسكسة بكر** "وهي تعرض في ألسنة بني بكر بن وائل ، كقولهم : "**أكرمتكس**" و " **بكس** " .
- **الرابعة** : "**أنّ قريشاً ليس لها غمغمة قضاعة**": وهو الكلام الذي لا يبين.
- **الخامسة**: " **ابتعدوا عن طمطمانيّة حمير**" وهي لهجة توجد في ألسنة حمير، ينطقون: "**طاب الهواء**" ، " **طاب امهواء**" (نطق أداة التّعريف"**أم**" بدل "**الـ**"). [1]

فكل هذه المظاهر اللّهجية وهي تتوزّع بين الأصوات والأبنية الصرفية موجودة في الأنماط الدُنيا، بينما العليا المتمثلة بلغة "قريش" خالية من الشوائب التي علقت بنطق بعض القبائل، ولهذا عُدّو أفصح النّاس.

ومن جانب المعجم فرّق الجاحظ بين اللغة الفصيحة واللغة المحكيّة في المحاورة التي حصلت بين من يمثل جماعتين كلاميتين، حيث يقول:

([1]) ينظر إبراهيم أنيس؛ **اللهجات العربية**، ط9، القاهرة، 1995، مكتبة الأنجلو المصرية، ص:122 .

«حدّثني أبو سعيدٍ عبدُ الكريم بن رَوح قال: قال أهل مكّةَ لمحمد بن المُناذِر الشاعر: ليست لكم معاشرَ أهل البصرة لغةٌ فصيحة، إنّما الفصاحة لنا أهلَ مكّة، فقال ابن المُناذر: أمّا ألفاظُنا فأحْكَى الألفاظِ للقرآن، وأكثرُها له موافقةً، فضَعُوا القرآنَ بعد هذا حيثُ شِئتم، أنتم تُسمُون القِدر (بُرْمَة) وتجمعون البُرمة على (بِرَامٍ)، ونحن نقول قِدر، ونجمعها على قُدور، وقال الله عز وجل: ﴿وجِفَان كالجَوَابِ وقُدورٍ رَاسِياتٍ ﴾ سبأ:13، وأنتم تسمُّون البيت إذا كان فوق البيت (عُلِّيَّةً)، وتجمعون هذا الاسم على (عَلالِيّ) ونحن نسمّيه غرفة ونجمعها على غُرفاتٍ وغرفٍ، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيّةٌ ﴾ الزمر:020 وقال: ﴿وَهُمْ في الغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ سبأ:37، وأنتم تسمُّون الطَّلَعَ (الكافورَ) و(الإغْريضَ)، ونحن نُسمّيه: الطَّلْع، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَنَخْلٍ طَلْعُها هَضِيمٌ﴾ الشعراء: 148، فعَدّ عشر كلماتٍ لم أحفظ أنا منها إلا هذا» [البيان والتبيين: 1/18-19]

فحدث تنازع بين الفريقين، أيهما يمثّل اللغة الأرقى؟ من حيث استنادها إلى أهم المعايير وهو مشابهتها للقرآن الكريم، وبرز الاختلاف من خلال مجموعة من المفردات، وهي: (برمة) ويجمعونها على (بِرَامٍ) .و (عُلِّيَّة) ويجمعونها على (عَلالِيّ) و(الكافورَ) أو (الإغْريضَ) كما عند أهل مكة أما عند أهل البصرة: فالقِدر، والغرفة، والطَّلع.

وفي نص آخر يصوّر لنا الجاحظ أن نمطا من اللغة يكون موظفا في حديث الناس الجاري في حياتهم اليومية لكنه لا يرقى إلى المستوى الأعلى، حيث يقول:

« وَقَدْ يستخف اَلنَّاس أَلْفَاظًا وَيَسْتَعْمِلُونَهَا وَغَيْرهَا أَحَقّ بِذَلِكَ مِنْهَا، أَلَّا تَرَى أَنَّ اَللَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمْ يَذْكُر فِي اَلْقُرْآن (اَلْجُوع) إلاّ فِي مَوْضِع اَلْعِقَاب أَوْ فِي مَوْضِع اَلْفَقْر اَلْمُدْقِع وَالْعَجْز اَلظَّاهِر، وَالنَّاس لَا يَذْكُرُونَ (السغب) وَيَذْكُرُونَ اَلْجُوع فِي

حَال اَلْقُدْرَة وَالسَّلَامَة، وَكَذَلِكَ ذكر (اَلْمَطَر)، لِأَنَّك لَا تَجُدْ اَلْقُرْآن يَلْفِظ بِهِ إلا فِي مَوْضِع اَلِانْتِقَام، وَالْعَامَّة وَأَكْثَر اَلْخَاصَّة لَا يَفْصِلُونَ بَيْن ذِكْر اَلْمَطَر وَذِكْر (اَلْغَيْث)، وَلَفْظ اَلْقُرْآن اَلَّذِي عَلَيْهِ نَزَلَ أَنَّهُ إِذَا ذَكَرَ (الأبصار) لَمْ يقِل (اَلْأَسْمَاع)، وإذا ذكْر سَبْع سَمَوَات لَمْ يُقِلّ (اَلْأَرْضِين)، أَلَّا تَرَاهُ لَا يَجْمَع اَلْأَرْض أَرْضِينَ وَلَا اَلسَّمْع أَسْمَاعًا وَالْجَارِي عَلَى أَفْوَاه اَلْعَامَّة غَيْر ذَلِكَ لَا يَتَفَقَّدُونَ مِنْ اَلْأَلْفَاظ مَا هُوَ أَحَقّ بِالذِّكْرِ وَأَوْلَى بِالِاسْتِعْمَالِ. وَقَدْ زعمَ بَعْض اَلْقُرَّاء أَنَّهُ لَمْ يَجِد ذِكْر لَفْظ اَلنِّكَاح فِي اَلْقُرْآن الا فِي مَوْضِع اَلتزْوِيج»[البيان والتبيين:20/1]

فالجاحظ يبين أن كثيرا ما ينجم عن اختلاف الناس وفئاتهم اختلاف مدلول الكلمات وخروجها عن معانيها الأولى، ويؤدي إلى ذلك ما يوجد بين الجماعات الناطقة باللغة الواحدة من فروق. فالجوع بدل السّغب، والمطر بدل الغيث، وكذا في استخدام بعض الجموع في سياقات معينة، حيث أنّ العامّة قد تستخدم اللغة الأضعف وتترك الأشهر. وهو في هذا النّص يكشف عن لجوء الناس إلى اختيار ألفاظ دون أخرى، من غير أن يعلل هذا الاختيار إلاّ خفة هذه الألفاظ على ألسنة الناس دون نظائرها. وهكذا شأن العامية التي تكون دارجة في الأسواق والمنازل والشوارع ومرتبطة بعامة الناس لا خاصّتهم.

وقال في نص آخر: « **وَالْعَامَّة رُبَّمَا اسْتَخَفَّتْ أَقَلّ اَللُّغَتَيْنِ وَأَضْعَفهمَا وَتسْتَعْمل مَا هُوَ أقل فِي أَصْل اَللُّغَة اِسْتِعْمَالًا، وَتَدَع مَا هُوَ أظْهر وَأَكْثَر، وَلِذَلِكَ صِرْنَا نَجِد اَلْبَيْت مِنْ اَلشِّعْر قَدْ سَارَ وَلَمْ يَسر مَا هُوَ أَجْوَد مِنْهُ، وَكَذَلِكَ المثل اَلسَّائِر**»[البيان و التبيين:20/1]. فالجاحظ هنا يلفت أنظارنا إلى استعمال العامّة الذي لا يخلو من ضعف؛ لأنهم ربّما استخفّوا أقلّ اللّغتين منزلة وتركوا ما هو أظهر وأشيع، ولذلك يجب أن تترك لغة العامّة في دائرتها المحلية، دون أن تزاحم اللغة الفصيحة في ألفاظها وأساليبها.

المبحث السادس : الثنائية اللغوية

المطلب الأول : مفهوم الثنائية اللغوية

وردت تعريفات عدة توضح مفهوم الثنائيّة اللغوية، منها: «أنْ يعرِف الفرد لغتين ويتقنهما في الاستعمال، وعرّفها آخرون أن يستعمل فرد أو شعب لغتين بمستوى من الإتقان»[1] ، وهكذا نجد أنّ أي تعريف قد يكون عاجزا عن وصف دقيق للثنائية. لكنّ "**الخولي**" اختار تعريفا حاول أن يجنّبه ثغرات التعريفات الأخرى فذكر أنها«استعمال الفرد أو الجماعة للغتين بأيّة درجة من الإتقان، ولأيّة مهارة من المهارات، ولأي هدف من الأهداف»[2]. و هذا التّعريف يشمل الفرد والمجتمع، ويشير إلى الإتقان ولو بأدنى درجاته. وإلى مهارة من المهارات.

ومصطلح (الثنائية) كما تشير التعريفات السّابقة، يُطلق على حالتين؛ **الأولى:** أن تكون خاصّة بالفرد، الذي يكون له لغتان وهذه تسمّى (الثنائية اللغوية الفردية) فهذه تُدرس بوصفها حالة فرديّة وظاهرة لها ارتباط نفسي، وهي موضوع مبحثنا هذا. أما الأخرى فهي الثنائيّة عندما توجد في مجتمع ما لغتان متعايشتان تُستخدمان في المجتمع ذاته، وهي ما تُسمى بـ(الثنائية اللغوية المجتمعية)، وتكون هذه الظاهرة ذات ارتباطات مجتمعية لها تأثر بالسّياسة والسكان وتتداخل فيها عوامل الصّراع[3].

المطلب الثاني : الجاحظ والثنائية اللغوية

يقول الجاحظ: **«ومن القُصَّاص: موسى بن سيّار الأُسواريّ، وكان من أعاجيب الدُّنيا، كانت فصاحتُه بالفارسية في وزن فصاحته بالعربيّة، وكان يجلِس في**

([1]) محمد علي الخولي؛ **معجم علم اللغة النظري**، د ط، مكتبة لبنان، 1991، ص32.

([2]) محمد علي الخولي؛ **الحياة مع لغتين (الثنائية اللغوية)**، دط، دار الفلاح للنشر و التوزيع، الأردن، 2002، ص18.

([3]) ينظر المرجع نفسه، ص 19.

مجلسه المشهور به، فتقعد العربُ عن يمينه، والفُرس عن يساره، فيقرأ الآية من كتاب الله ويفسّرها للعرب بالعربية، ثم يحوّل وجهَه إلى الفرس فيفسِّرها لهم بالفارسيَّة، فلا يُدرى بأي لسانٍ هو أبْيَنُ، واللُّغتانِ إذا التَقتَا في اللَّسان الواحد أدخلت كلُّ واحدةٍ منهما الضّيمَ على صاحبتها، إلاّ ما ذكرنا من لسان موسى بن سيّار الأسواريّ » [البيان والتبيين:368/1]

فيشير الجاحظ إلى ما يُعرف بالثنائيّة اللغوية المثاليّة عند الفرد، وذلك حين يستعمل الفرد لغتين مختلفتين، وحتى يتقن الشّخص لغتين إتقانا تامّا، يستلزم أن يتّصف بمزايا الثنائيّة اللغويّة المثاليّة أهمّها:

1) إذا تكلّم الشّخص بلغة أو كتب بها فإنّك لا تلمح أثر اللغة الأخرى في كلامه أو كتابته، وحين يتكلم الأخرى فلا تلمح كذلك أثرا للأولى، كما لو كان من الناطقين الأصليين في كل واحدة.
2) ثنائي اللغة يُتقن جميع المهارات اللغوية؛ من استماع وكلام وقراءة وكتابة.
3) استخدام كلتا اللغتين في جميع الظّروف ولجميع الأغراض.[1]

و المزية الأولى والثانية قد تحققت لدى "**الأسواري**" كما ذكر الجاحظ أما الثالثة فلم يتطرّق لها الكاتب. وهذه ثنائية مثالية افتراضية ممكنة الوقوع ، ولكنها نادرة لعدة أسباب:

أ- لا تتساوى مهارة الشّخص في لغتين، إذ يغلب أن تتفوق عنده لغة على أخرى بسبب تفوقها في المكانة أو زمن التعرّض أو نوعيّته.

(1) ينظر محمد علي الخولي؛ **الحياة مع لغتين (الثنائية اللغوية)**، د.ط، ص:22 .

ب- قد تتساوى لغتان لدى فرد ما في مهارة ما، ولكن يندر أن يكون التّساوي في الإتقان للمهارات الثلاث معا.

ت- قد تتساوى لغتان لدى فرد ما من حيث درجة الإتقان في ظرف ما، أو لغرض ما، لكن يندر أن يتحقق هذا التّساوي في جميع الظّروف وجميع الأهداف وجميع الموضوعات.[1]

أما قول الجاحظ: **«واللُّغتانِ إذا التَقتَا في اللّسان الواحد أدخلت كلُّ واحدةٍ منهما الضّيمَ على صاحبتها»** [البيان و التبيين:368/1]؛ فإن من يتحدث لغتين مختلفتين ستُضْعِفُ كل واحدة منهما الأخرى في لسان صاحبها، إلا ما ذكره عن "**موسى بن سيار**" في حالة نادرة، وهذه الحالة تُعدُّ ثنائية مثالية، فلا يحدث فيها تدخّل.

وفي هذا السّياق يذكر ماريو باي:« ثنائية اللغة من السّهل تحقيقها حينما تكون اللغتان مستعملتين جنباً إلى جنب منذ الطفولة المبكّرة، وبشرط أنْ تستمرا إلى فترة متأخرة. وما يُقال من أن ثنائية اللغة أو ثلاثيتها تلحق الضّرر بالتّطور النّفسي للفرد فدعوى لا دليل عليها. وكذلك لا دليل على الدعوى الأخرى أن الثنائية تعوق التمكّن من إحدى اللغتين أو كلتيهما، إن التمكّن من أي لغة يتوقف على الفرد، وليس على عدد اللغات المراد تعلمها، فالشخص الذي يتكلم بطريقة ناقصة سوف يتكلم لغة واحدة بنفس الطريقة الناقصة».[2]

([1]) ينظر محمد علي الخولي؛ **الحياة مع لغتين (الثنائية اللغوية)**، د.ط، ص:22 .

([2]) ماريوباي؛ **أسس علم اللغة**، تر أحمد مختار عمر، ص:192 .

المبحث السابع :المواقف الكلامية

المطلب الأول : مفهوم الموقف الكلامي

الموقف الكلامي أو السّياق غير اللغوي عُرِف عند العرب القدامى **بالمقام** ويهدف إلى إبراز الدّور الاجتماعي لكل من المتكلّم والمستمع والحضور وسائر المشتركين في الموقف الكلامي، والنّظر إلى مجمل الظّروف المحيطة والأوضاع المؤثّرة في عمليّة الكلام. وهذا هو المشهد المتكامل الذي يجعله "**هاليداي**" «هو النّص الآخر أو النّص المصاحب للنّص الظاهر، والنّص الآخر لا يشترط أن يكون قولياً إذ هو يمثل البيئة الخارجيّة للبيئة اللغوية بأسرها، وهو بمثابة الجسر الذي يربط التّمثيل اللغوي ببيئته الخارجيّة» [1]

كما أنّ « الكفاية نظام من القواعد و المبادئ التي تمثل تمثيلا عقليا والتي تمكّن المتكلم من فهم جملة حيّة و تمكّن الجمل من التعبير عن أفكاره، إذ ترتبط الأصوات بالدّلالات و ينتمي إلى كفاية المتكلم النحوية قدراته التركيبية والدلالية والفونولوجية التي تقضي بتطابق التعبيرات مع ما تعبر عنه في لغة بعينها، كما تضم الأحكام عن حسن السّبك الشكلي والدلالي ومرجعيّة التّعبيرات والتماثل الدلالي و التعدّد الدّلالي ودرجة الانحراف»[2].

فالاهتمامات المنهجية لعلم اللغة الاجتماعي تشمل كل ما يتعلّق باللغة التي يتداولها المتكلم والمخاطب، وموضوع الكلام، وزمنه، ومكانه، وكيفيّته، وحال المتكلم وحال المخاطب. كما أن المواقف الاجتماعية كثيرة لا حصر لها، وهي مرتبطة

([1]) يوسف نور عوض؛ **علم النص ونظرية الترجمة**، ط1، مكة المكرمة، 1410هـ، دار الثقة للنشر والتوثيق،ص:29.

([2]) محمد العبد؛ **النص والخطاب والاتصال**، د ط، القاهرة، 2014، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ص:21.

بعوامل خارجية غير محصورة العدد والتنوّع، جميعها مشاركة في الخطاب ومؤثّرة فيه.

والسّياق غير اللغوي، جملة العناصر المكونة للموقف الكلامي، ومحددات هذا السّياق عناصر عديدة؛ أولها المتكلم نفسه؛ هل هو ذكر أم أنثى؟ صغير السن أم كبير؟ واحد أم اثنان أم جماعة أم جمهور؟ جنسيّته؟ دينه؟ ونبرة صوته؟ ومكانه الاجتماعي ....الخ هذه الصّفات التي تميزه من غيره. ثم المستمع وتنطبق عليه كل تلك التساؤلات والأوصاف. ثم علاقة المتكلم بالمستمع من حيث القرابة أو الصداقة أو زمالة العمل أو حتى العداوة، ومن حيث المعرفة وعمقها أو سطحيتها، ومن حيث القوة والمكانة أو المركز الاجتماعي أو المالي أو الوظيفي أو السياسي. ثم موضوع الكلام، وفي أي جوّ يقال، وأي مكان وزمان؟ وكيف يُقال ؟ وما الدّاعي لقوله؟ وغير ذلك من العناصر التي تلفّ المقام وهي كثيرة جداً. وكل عنصر منها يؤثّر تأثيرا مباشرا في كيفية قول الكلام وتركيبته ومعانيه ودلالاته والغرض من قوله وتأثيره وغير ذلك. وهذه هي القرائن الخارجية المؤثرة في أي نصّ[1].

المطلب الثاني :الجاحظ و المواقف الكلامية

لقد ذكر الجاحظ "**الموقف**" و"**المقام**" نقلا عن ابن المقفع في قوله:

« فإنّه لا خيرَ في كلامٍ لا يدلُّ على معناك، ولا يشير إلى مَغْزَاك، وإلى العَمود الذي إليه قصدتَ، والغرضِ الذي إليه نزَعت، قال: فقيل له: فإنْ مَلَّ السامعُ الإطالةَ التي ذكَرْتَ أنّها حقٌّ ذلك الموقِف؟ قال: إذا أعطَيْتَ كلَّ مَقامٍ حَقَّه، وقمتَ بالذي يجبُ من سياسة ذلك المقام، وأرضيْتَ من يعرف حقوقَ الكلام، فلا تهتمَّ لما فاتَكَ من رضا الحاسد والعدُوّ...» [البيان والتبيين: 1/ 116]

(1) ينظر محمد حافظ دياب؛ **مقدمة في علم اجتماع اللغة**، د ط، الرياض، د ت، مؤسسة الأنوار، ص:264 .

إن الموقف الكلامي ومراعاته هو قطب الرحى الذي دار حوله "**البيان والتبيين**" كما يُعد المحور الذي ترتكز عليه البلاغة العربية، من حيث **أنّ لكل مقامٍ مقالاً** وأنّ الظواهر اللغوية خاضعة لظروفها المقاميّة وجوانبها اللغوية وغير اللغوية، ومراعاة هذه الجوانب جميعا ضرورة لغوية من الوجهة الاجتماعية.

كما أن الجاحظ قد فطِن إلى مبادئ ومعايير اتّصالية مهمة، وليست معايير لغوية أو نحويّة فحسب، وأوْجَب على المتكلّم مراعاة هذه المعايير الاتصالية حسب الموقف الذي يحيط به، والذي يملي عليه سلوكا لغويا معيّنا، وإلا فشل المتكّلم في مهمّته مهما كانت كفايته اللغوية متفوّقة.

وفي ذلك يقول الجاحظ:« **قيل للفارسيّ: ما البلاغة؟ قال: معرفة الفَصْل من الوصل. وقيل لليونانيّ: ما البلاغة؟ قال: تصحيح الأقسام، واختيار الكَلام. وقيل للروميّ: ما البلاغة؟ قال: حسن الاقتضاب عند البداهة، والغَزارة يَوْمَ الإطالة. وقيل للهنديّ: ما البلاغة؟ قال: وضُوح الدّلالة، وانتهاز الفرصة، وحسن الإشارة. وقال بعضُ أهل الهند: جِمَاع البلاغة البَصر بالحُجّة، والمعرفة بمواضع الفرصة، ثم قال: ومن البصر بالحُجة، والمعرفة بمواضع الفُرصة، أن تدَعَ الإفصاح بها إلى الكناية عنها، إذا كان الإفصاحُ أوعَرَ طريقةً، وربما كان الإضرابُ عنها صفحاً أبلَغَ في الدَّرَك، وأحقَّ بالظَّفَر. قال: وقال مَرَّةً: جِمَاع البلاغة التماس حُسن الموقع، والمعرفةُ بساعات القول، وقلة الخَرَقِ بما التبَسَ من المعاني أو غَمُضَ، وبما شَرَد عليك من اللّفْظُ أو تعذّر. ثم قال: وزَينُ ذلك كلّه، وبهاؤُه وحلاوتهُ وسناؤُه، أن تكون الشّمائلُ موزونةً، والألفاظُ معدَّلةً، واللّهجة نقيَّة، فإنْ جامَعَ ذلك السنُّ والسمتُ والجمال وطولُ الصَّمت، فقد تَمَّ كلَّ التمام، وكمُل كلَّ الكمال»**[البيان والتبيين:1/88-89]

وهذه الأقوال تفيد في تحقيق المتكلم لأغراضه وفق معطيات الموقف، فالوصل في مواضعه والفصل في مواضعه، وليس هناك معايير مطلقة للحديث يصلح لجميع الظروف والأحوال، إنما هو بحسب ظروف الحال، فالاقتضاب مناسب في مواضع لا تصلح لها الإطالة والغزارة، والكناية أليق من الإفصاح في بعض الحالات أو العكس.

وهذا كله من قبيل الكفاية الاتّصالية التي تعني الاستعمال المناسب للغة في أيّ موقف اجتماعي؛ لأن النّصوص خاضعة دوماً للموقف المحيط.

وحين نتتبع مزيداً من الشواهد التي ساقها الجاحظ، ونبه من خلالها إلى أهمية مراعاة الحال ومناسبة الحديث للسيّاق، لتكون مؤثّرة بما هي أفعال، وبما تؤدّي إليه من نتائج فسنجد الكثير منها:

« **وَالْمَعْنى لَيْسَ يشْرُف بأنْ يَكُون مِنْ مَعَانِي اَلْخَاصَّة، وَكَذَلِكَ لَيْسَ يتضع بَأن يَكُون مِنْ مَعَانِي اَلْعَامَّة، وإنما مَدَار اَلشَّرَف عَلَى اَلصَّوَاب وإحراز اَلْمَنْفَعَة مَعَ مُوَافَقَة الحال وَمَا يَجِبُ لِكُلّ مَقَام مِنْ اَلْمَقَال**»[البيان والتبيين: 1/ 136]

وفي موضع آخر :« **مَدارُ الشّرَف على الصواب وإحراز المنفعة، مع موافَقَة الحال، وما يجب لكلّ مَقامٍ من المقال**» [البيان:1/ 136] ويقول: « **ومدارُ الأمر على إفهام كلِّ قومٍ بمقدارِ طاقتهم، والحملِ عليهم على أَقدار منازلهم** » [البيان والتبيين:93/1]

وبذلك فالبلاغة عند الجاحظ لا تنفصل عن مفهوم الكفاية الاتّصالية التي تعني الوعي بقواعد الاستعمال الاجتماعي للكلام، وموافقة أفعال الكلام للظّروف المحيطة.

ويظهر ذلك بشكل واضح في انتقاء المتحدث للوحدات اللغوية ومصطلحات التّخاطب فيختار له لفظ الأستاذ أو السيّد أو مناداته باسمه المجرّد أو بالمنصب الوظيفي أو العلمي، أو بالكنية أو باللقب. كما يظهر في أسلوب التخاطب وتبادل الرّسائل الاتّصالية وطريقة الكلام ونبرة الصّوت وأسلوب الحديث. وكذا في حالة التّعامل مع الجمهور النّخبوي الخاص أو العام، وقد وضّح لنا الجاحظ ذلك في هذه الكلمات:

« لا يكلِّم سَيِّدُ الأمَة بكلام الأمَة ولا الملوكُ بكلام السُّوقة، ويكونَ في قُواه فضْلُ التصرُّف في كلِّ طبقة، ولا يدقِّق المعاني كلَّ التدقيق، ولا يُنقّحَ الألفاظ كل التنقيح، ولا يُصَفّيهَا كلَّ التّصفية، ولا يهذّبَها غاية التهذيب، ولا يفعلَ ذلك حتى يصادِفَ حكيماً، أو فيلسوفاً عليماً...ومدارُ الأمر على إفهام كلِّ قومٍ بمقدارِ طاقتهم، والحملِ عليهم على أَقدار منازلهم» [البيان والتبيين:1/92-93]

فاللغة تدفعنا إلى تحديد علاقتنا مع من نتحدّث وعمّا نتحدّث ، ومراعاة المكانة الاجتماعية، والمنزلة العلميّة في كل ذلك. فحين نتكلم مع الأمير أو السيّد أو الرّئيس ليس كما نتكلم مع الصّديق أو الزّوجة، أو مع الخادم والعامل. وحين يُوجَّه خطابٌ إلى جمهور المثقفين لا يكون نوع الخطاب وأسلوبه مماثلا للمُوجَّه لجمهور من العامّة والدّهماء.

خاتمة

بعد كل هذا البحث يمكننا حوصلة ما توصّلنا إليه:

- تعتبر اللسانيات الاجتماعية ذات أهمية بالغة في ربطها للغة بمقاماتها الاجتماعية، ومدِّ التحليل اللغوي ببعد يتجاوز المدى الذي بلغه علم اللسان الحديث، إذ لا يمكن فهم اللغة أو دراستها وتحليلها وتعليمها وتعلمها بمعزل عن سياقها الاجتماعي.
- كما تعتبر اللسانيات الاجتماعية علم متشعب الأطراف، يتضمن عددا من الاهتمامات الخاصّة، وربّما يتداخل بعضها مع مناطق بحثية أخرى، ذلك أن دراسة اللغة وعلاقتها بالثقافة والمجتمع حقل واسع إلى أبعد الحدود، الأمر الذي يصعّب كل بحث يتخذ هذا الميدان للدراسة منطلقا.
- تطرق "**الجاحظ**" لعناصر الاتصال بشكل يلفت النظر ويدعو للإعجاب، فركّز على الرسالة ومقوّماتها الدّاخلية والخارجية.ثم على العلاقة بين المرسل والرسالة، ثم على المتلقي بوصفه طرفا أساسيا، بما يتفق ومقتضى حاله ومقامه. كما تطرّق إلى الرّابط بين أطراف عمليّة الاتّصال من خلال عدة وظائف سواء أكان الاتّصال لفظيا أو غير لفظي. إلا أننا لا نزعم أن الجاحظ أسّس نظرية متكاملة، شملت عناصر الاتصال كلها.
- تبرز في المجتمع الواحد تنوّعات مميّزة، تحمل في طيّاتها ملامح وسمات لغويّة تفصح عن هويّة أصحابها، فتتعدّد اللغة بتعدّد مستويات الناطقين بها، وتتنوّع بتنوّع منازلهم وثقافاتهم.

والجاحظ تفطّن لهذه الظّاهرة من خلال الأصوات والمفردات. ثم الاختلافات الاجتماعية المنعكسة على اللغة، كما أولى لها عناية كبرى.

- التفت الجاحظ إلى أن النّاس لهم طبقات ومنازل، وكذلك اللغة، فهي تعكس التدرج الاجتماعي والاختلاف الطبقي. كما نبّه إلى أن هناك مستويات للمتحدثين، ومستويات للحديث ذاته. فمستويات المتحدثين تتنوع وتختلف باختلاف منازلهم ومهنهم، وكذلك الحديث يختلف باختلاف العمل الاتّصالي

وسياقه وباختلاف مستويات المخاطبين وجمهور المستمعين وتوقيت العمل الاتصالي والخبرات المشتركة بين المتحدّث والسّامعين وهدف العمل الاتّصالي؛ فتتولّد صور مختلفة للكلام.

- في الصّراع اللغوي خلُصنا إلى أنّ انتقال اللغة وهجرتها واحتكاكها مع غيرها من اللغات يؤدي إلى تسرّب ألفاظ وأساليب كثيرة منها وإليها، كما أن صراعها مع غيرها يؤول إلى انتصارها أو انكسارها، واللغة الغالبة أو المنتصرة لا تخرج غالبا سليمة من صراعها، بل يلحقها بعض التأثر. وقد تنبّه الجاحظ لهذا للصراع اللغوي الذي دخلته العربية مع بعض اللغات المجاورة وأهمها الفارسية.
- تطرّق الجاحظ إلى الازدواجية اللغوية، من خلال حديثه عن أفصح القبائل والتي يحصرها في الحجاز و تحديدا قبيلة قريش و يقدّم حججا تبين وعيه بهذه الظاهرة، وينبّه إلى أن المظاهر اللهجية وهي تتوزع بين الأصوات والأبنية الصّرفية موجودة في الأنماط الدُنيا، بينما العليا كانت تخلو منها وهي المتمثلة بلغة "قريش".
- أشار الجاحظ إلى ما يُعرف بالثنائية اللغوية اليوم عند الفرد، وذلك حين يستعمل الفرد لغتين مختلفتين بجودة عالية، كما نوه الجاحظ إلى أن هذه الثنائية المثالية نادرة الوقوع، وهي لم تُعرف في وقته إلاّ للأسْواري.
- يعتبر الموقف الكلامي بكل عناصره قُطب الرّحى الذي دار حوله كتاب "البيان والتبيين" بل هو المحور الذي ترتكز عليه البلاغة العربية بعامّة، من حيث (أنّ لكل مقامٍ مقالاً) وأنّ بناء النّص في الفكر البلاغي وظيفي باتّجاه الموقف، وأن الظواهر اللغوية خاضعة لظروفها المقاميّة وجوانبها اللغوية وغير اللغوية، ومراعاة هذه الجوانب جميعا ضرورة لغوية من الوجهة الاجتماعية.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر العربية:

*** أبـي عثمـان عمـرو بـن بحـر الجـاحظ؛ **البيــان والتبيــين**، تحقيـق عبـد السـلام هـارون، ط7، مكتبة الخانجي للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة، 1998.

1) إبراهيم أنيس؛ في اللهجات العربية، ط9، القاهرة، 1995، مكتبة الأنجلو المصرية،
2) ابن خلكان؛ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح إحسان عباس، لبنان، دت، مج3، دار صادر بيروت.
3) ابن منظور؛ لسان العرب، ، دار صادر–بيروت.
4) أبو الفتح عثمان ابن جني؛ سر صناعة الإعراب، تح. حسن هنداوي، دط، دت، جزء1.
5) حسن ظاظا؛ اللسان والإنسان، مدخل إلى معرفة اللغة، ط2، بيروت،1990، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع.
6) حلمي خضر ساري؛ التواصل الاجتماعي الأبعاد و المبادئ والمهارات، ط1، الأردن، 2014، كنوز المعرفة.
7) الحموي أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله؛ معجم الأدباء، د.ط، 1980، دار الفكر للطباعة والنشر.
8) حنا الفاخوري؛ الجاحظ سلسلة نوابغ الفكر العربي2، دط، بيروت، 2006، دار المعارف للطباعة والنشر.
9) رشدي أحمد طعيمة ومحمود كامل الناقة؛ تعلم اللغة اتصاليا بين المناهج والاستراتيجيات، دط، المغرب، 2006، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة.
10) صبري السيد؛ علم اللغة الاجتماعي، د.ط، الإسكندرية، 1995، دار المعرفة الجامعية.
11) عبد الرحمن ابن خلدون؛ المقدمة، تح عبد السلام الشدادي، خزانة ابن خلدون بيت الفنون والعلوم والآداب، ج3.
12) عبد الرحمن أيوب؛ اللغة والتطور، د.ط، القاهرة، 1969، معهد البحوث والدراسات العربية، مطبعة الكيلاني.
13) عبد الفتاح عفيفي؛علم الاجتماع اللغوي، د.ط، القاهرة، 1995، دار الفكر العربي.
14) عبد الله الطويرقي؛ علم الاتصال المعاصر، ط2، الرياض، 1997، مكتبة العبيكان.

15) علي شلق؛ الجاحظ، ط1، لبنان، 2006، دار ومكتبة الهلال.
16) علي عبد الواحد وافي؛علم اللغة، ط9، نهضة مصر للطباعة و النشر والتوزيع، مصر، 2004.
17) كمال بشر؛ علم اللغة الاجتماعي مدخل، ط3، القاهرة، 1997، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.
18) محمد العبد؛ النص والخطاب والاتصال، د ط، القاهرة، 2014، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي.
19) محمد حافظ دياب؛ مقدمة في علم اجتماع اللغة، د ط، الرياض، د ت، مؤسسة الأنوار.
20) محمد عبد المنعم خفاجي؛ أبو عثمان الجاحظ، ط1، القاهرة، د. ت، دار الطباعة المحمدية.
21) محمد عفيف الدين دمياطي؛ مدخل إلى علم اللغة الاجتماعي، ط2، اندونيسا، 2017، مكتبة لسان عربي للنشر والتوزيع.
22) محمد علي الخولي؛ الحياة مع لغتين (الثنائية اللغوية)، دط، دار الفلاح للنشر والتوزيع، الأردن، 2002.
23) محمد علي الخولي؛ معجم علم اللغة النظري، د.ط ، لبنان،1991، مكتبة لبنان ناشرون.
24) محمود حسن إسماعيل؛ مبادئ علم الاتصال، ط1، مصر، 2003، الدار العالمية للنشر والتوزيع.
25) محمود عبد الفتاح رضوان؛ الاتصال اللفظي وغير اللفظي، ط1، القاهرة، 2012، منشورات المجموعة العربية للتدريب والنشر.
26) مصطفى غلفان؛ اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، ط1، الدار البيضاء المغرب، 2006، شركة النشر والتوزيع المدارس.
27) مصطفى لطفي؛ اللغة العربية في إطارها الاجتماعي، ط1، لبنان، 1976، معهد الإنماء العربي.
28) ميشال زكريا؛ الألسنية(علم اللغة الحديث)، ط2، لبنان، 1985، المؤسسة الجامعية للطباعة والنشر.
29) هادي نهر؛ علم اللغة الاجتماعي عند العرب، ط1، العراق، 1988، الجامعة المستنصرية.
30) يوسف نور عوض؛ علم النص ونظرية الترجمة، ط1، مكة المكرمة، 1410هـ، دار الثقة للنشر والتوثيق.

المصادر الأجنبية:

31) جرهارد هلبش؛ تطور علم اللغة منذ 1970، تر. سعيد حسن بحيري، ط1، القاهرة،2007، مكتبة زهراء الشرق

32) جفري سامسون؛ مدارس اللسانيات التسابق والتطور، تر محمد زياد كبة، د.ط، الرياض،1417هـ، مطابع جامعة الملك سعود.

33) جورج يول ؛ معرفة اللغة، ترجمة محمود فراج عبد الحافظ، د.ط، الإسكندرية،1999، دار الوفاء.

34) د.هدسون؛ علم اللغة الاجتماعي، تر. محمود عياد، ط2، القاهرة، 1990، دار عالم الكتب للنشر.

35) ر.هـ. روبنز؛ موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، تر.أحمد عوض، الكويت،1997، سلسلة عالم المعرفة 227.

36) رالف فاسولد؛ علم اللغة الاجتماعي، ترجمة إبراهيم بن صالح محمد الفلاي، د.ط، جامعة الملك سعود، السعودية، 2000.

37) فردناند دي سوسير؛ محاضرات في علم اللسان العام، تر.عبد القادر قنيني، د.ط، المغرب، 1987، أفريقيا الشرق.

38) فيرجسون؛ الازدواج اللغوي، ترجمة عبد الرحمن بن محمد القعود، ط1، مكتبة لسان العرب، الرياض، 1998.

39) ماريوباي؛ أسس علم اللغة، تر أحمد مختار عمر، ط8، القاهرة، 1998، دار عالم الكتب

40) ن. ي. كولنج؛ الموسوعة اللغوية، تر. محي الدين حميدي وعبد الله الحميدان، مج2، الرياض، 1421هـ، النشر العلمي و المطابع.

41) يوهان فك؛ العربية دراسات في اللغة و اللهجات والأساليب، تر رمضان عبد التواب، د.ط، مصر، 1980، مكتبة الخانجي

المجلات والدوريات

42) مازن الوعر؛ **(صلة التراث اللغوي العربي باللسانيات)** مجلة التراث العربي، سوريا، المجلد12، العدد48، 1992.

43) نهاد الموسى؛ **(الأعراف أو نحو اللسانيات الاجتماعية في العربية)**، أشغال الملتقى الدولي الثالث في اللسانيات، سلسلة اللسانيات، عدد 6، الجامعة التونسية، المطبعة العصرية،1986.

44) يحيى أحمد؛ **(الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة)**، مجلة عالم الفكر، عدد3، بتاريخ1989/10/01.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	أ، ب،ج، د
الفصل الأول: اللسانيات الاجتماعية النشأة والمجالات	
توطئة :الإرهاصات الأولى للدراسات اللغوية العربية قديما وحديثا من منظور اجتماعي و صلتها بالعلوم اللغوية الحديثة	14
المطلب الأول: مفهوم اللسانيات الاجتماعية	17
المطلب الثاني: نشأة اللسانيات الاجتماعية	20
المطلب الثالث: بين علم اللغة الاجتماعي وعلم الاجتماع اللغوي	28
المطلب الرابع: مجالات اللسانيات الاجتماعية	30
المطلب الخامس: أهمية اللسانيات الاجتماعية	31
الفصل الثاني: القضايا اللغوية في البيان و التبيين للجاحظ في ضوء اللسانيات الاجتماعية	
مدخل: الجاحظ المولد و النشأة	34
المبحث الأول: الاتصال اللغوي (اللفظي و غير الفظي)	40
المطلب الأول: مفهوم الاتصال	40
المطلب الثاني: التواصل اللفظي وعلم اللغة الحديث	42
المطلب الثالث:التواصل اللفظي عند الجاحظ	43
المطلب الرابع: التواصل غير اللفظي	48
المطلب الخامس: الجاحظ واللغة غير اللفظية	50
المبحث الثاني: التنوع اللغوي	51
المطلب الأول: ماهية التنوع اللغوي	52
المطلب الثاني: الجاحظ والتنوع اللغوي (اللهجات)	54
المبحث الثالث: الطبقات اللغوية	58
المطلب الأول: تكون الطبقات اللغوية	59
المطلب الثاني: الجاحظ و الطبقات اللغوية	60

المبحث الرابع: الصراع اللغوي	62
المطلب الأول:مفهوم الصراع اللغوي	62
المطلب الثاني:أسباب الصراع اللغوي	63
المطلب الثالث:الصراع اللغوي عند الجاحظ	67
المبحث الخامس: الازدواجية اللغوية	69
المطلب الأول: مفهوم الازدواجية اللغوية	70
المطلب الثاني الازدواجية اللغوية عند الجاحظ	72
المبحث السادس: الثنائية اللغوية	76
المطلب الأول: مفهوم الثنائية اللغوية	76
المطلب الثاني: الجاحظ و الثنائية اللغوية	76
المبحث السابع:المواقف الكلامية	79
المطلب الأول: مفهوم المواقف الكلامية	79
المطلب الثاني: الجاحظ و المواقف الكلامية	80
خاتمة	84